رحلة السَّعادة

طرِيق أولياء الله الصَّالحين

حقوق الطبع متاحة لكل مسلم

الطبعة الأولى

٢٠٢٤ م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٤٥٥١ / ٨/ ٢٠٢٣)

عنوان الكتاب: رحلة السعادة : (طريق أولياء الله الصالحين)

تأليف: علي، عبلة عمر سليمان

بيانات النشر: عمان: عبلة عمر سليمان علي، ٢٠٢٣

الوصف المادي: ٢٨٦ صفحة

رقم التصنيف: ٢١٥

الواصفات: / الوعظ والإرشاد/ / الفضائل/ / الصفوة/ / الدعوة الإسلامية

الطبعة: الأولى

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9923-0-0846 -1

التنسيق والإخراج والطباعة: دار الخليج للنشر والتوزيع 0779359835

دار الخليج للنشر والتوزيع

الأردن: عمّـــــان، العبدلي تلفاكس: 00962779359835

daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij

تتوفر أصداراتنا على: جملون نيل وفرات كوم GET IT ON Google play

رحلة السَّعادة

طرِيق أولياء الله الصَّالحين

عبلة عمر سليمان

إهداء

أهدي هذا الكتاب لوالديّ؛ لأبي وأمي رحمهما الله، وأرجو من الله أن يجعله في ميزان حسناتهما صدقة جارية لهما في قبريهما.. وللأخوات طالبات العلم اللواتي جمعن هذه المادة بتوفيق الله جزاهن الله عني خير الجزاء.

وأهدي هذا الكتاب لزوجي العزيز الذي طالما ساندني في مسيرتي الدعوية، وإلى أخي زياد عمر الخباز (أبو حمزة) الذي كان دائما يحثني على التوسع في الدعوة، وإلى كل من له حق علينا.

إلى من ..

يبحثون .. يتلفتون .. لعلّهم يُبصرون

طريق الوصول إلى الغرف .. طريق الوصول الى رضا الله..

طريق الصديقين والشهداء وأولياء الله الصالحين..

إليكم جُمع هذا الكتاب من هنا ومن هناك..

عسى أن يكون أنيسـًا لنا و لكم في ضياعات الحياة..

وأرجو من الله تعالى

أن يجعل هذا الكتاب طريقـًا لهدايتنا وهداية كل عبد غافل لاهٍ في زينة الحياة الدنيا، ويحولنا إلى عباد تائقين مشتاقين باحثين عن الرضا..

رضاك يارب..

...اطلبوا من الله الوصول...

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإن هذا الكتاب يحتوي على بعض مقامات العبودية التي ترقى بصاحبها إلى مرتبة الولاية والإصطفاء الإلهي بإذن الله، بأن يجعله الله من السابقين المقربين، فيقطف ثمرات هذه الولاية، وهذا القرب الرباني، كما قال نبينا الكريم في الحديث القدسي:

يقول الله تعالى: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فَبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه"، [أخرجه البخاري]

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[يونس:٦٢-٦٣].

فيحظى هذا العبد بالمعية الإلهية والرعاية والعناية والتوفيق والسداد من الله عز وجل، فإن حَظي بذلك، أعطاه الله حياة طيبة موصولة بالنعم، موصولة برضاه سبحانه، حياة مليئة بالأمن والأمان والسكينة، فيبقى تحت رعاية الله حتى يُختم له

بالباقيات الصالحات، ويصبح من الذين طمأن الله قلوبهم بالآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

مادة هذا الكتاب أصلها دروس تربوية أسبوعية صوتية، تولى تفريغها عدد من الأخوات الفاضلات أعظم الله لهن الأجر والمثوبة، فتحولت المادة الصوتية إلى كتاب بفضل الله تعالى، فنسأل الله لنا ولهن ولكم الأجور التامة.

ونحتسب عند الله أن يكون هذا العمل من باب الالتزام بأمر الله وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام..

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ **[آل عمران ١١٠].**

وقال عليه الصلاة والسلام :"بلغوا عني ولو آية" [أخرجه البخاري]

ونرجو من الله أن يكون سببا لنجاتنا من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الاعراف ١٦٥].

أما عن محتوى هذا الكتاب فقد تحدثنا بكلمات موجزة عن صفات أولياء الله، وعن الطريق للوصول لهذا المقام الرفيع.

كما تطرقنا إلى الحديث عن بعض أعمال القلوب وأعمال الجوارح بأسلوب بسيط، سهل، قريب إلى القلب، منها غض البصر، مقام الدعاء والتضرع، والبكاء من خشية الله، وقيام الليل، ومقام التقوى والإحسان والرضا والشكر واليقين، ومقام المحبة والتوكل، والنوايا والسرائر وكل هذا للوصول لقلبٍ سليم بإذن الله.

وفي الجزء الثاني من الكتاب تطرقنا إلى رحلة أولياء الله الصالحين بعد رحلتهم في الدنيا، إلى طريق رحلتهم للدار الآخرة، من ساعة خروج روح العبد الصالح حتى دخول الجنة ورؤية وجه الله الكريم.

وأسأل الله العظيم أن يتقبل منا ، وأن ينفعنا عز وجل بهذا العمل يوم القيامة، وأن يكون سبباً لرضا الرحمن عنا، ولله الحمد والمنة على كل نعمة، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين ..

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً، الحمد لله ذي الإفضال والإنعام ،و ذي النّعم العظام ذي الجلال والإكرام، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمدا دائما بدوامه لا يبيد ولا يزول أبد الآبدين.

فلا صلاح للقلب ولا فلاح للعبد إلا بالإخلاص والتوحيد للرب، الذي في قربه النعيم، وفي البعد عنه الضنك والجحيم.

أما بعد ..

للقلوب أعمال، تختلف اختلافا جوهريا عن أعمال الجوارح، يتعبد بها العبد لله عز وجل، غفل الكثير عنها مكتفين بعبوديات الجوارح من صلاة وصيام وزكاة وغيرها، غافلين عن أن الصلاة والصيام والزكاة تحتاج قلبا حاضرا، شاهدا لهيبة الله تبارك وتعالى، قلبا محبّا متوكلا راضيا شاكرا مُحسنا متشوقا متلهفا لخالقه عز وجل .

وأعمال القلوب، كسلامة القلب و اليقين وحسن الظن بالله والتوكل والرضا والتقوى والإحسان ودوام شكر المنعم وصفاء السريرة، وخشية الله، ومحبة الله، وغيرها من عبوديات القلوب، هي: "الاكسير الكيماوي، الذي إذا وضع منه مثقال ذرة على قناطير من نحاس الأعمال قلبها ذهبا " كما يقول ابن القيم.

فشتان ما بين صلاة عبد محب مشتاق لربه ، شاكر له، متوكل عليه على الدوام، قلبه مُكتف بالله وبحب الله ، وبين صلاة عبد، يعبد ربه بقلب مخلط بين حب الله وحب الدنيا، وكذا باقي عباداتهم.

من هنا تتضح لنا معالم طريق الولاية ، ويتجلى لنا معنى ما قاله بعض السلف عن أبي بكر الصديق: ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكنه شيء وقر في قلبه.

وما قاله أبو الدرداء رضي الله عنه: يا حبذا نوم الأكْياس وفِطرهم ، كيف يسبق سهر الجاهلين وصِيامهم .

عبوديات القلوب..

منها تبدأ رحلة الاصطفاء والاجتباء الرباني .. رحلة أولياء الله الصالحين.

هم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس:٦٢-٦٣].

****

فلتعلم أن البدايات للجميع .. والثبات لمن اجتهد وصبر.

"مقتبس"

انتقائك لهذا الكتاب يُصنفك في قائمة طلبة العلم

بمجرد أن لفت نظرك عنوان الكتاب فقد دخلت في فئة طلاب العلم – الباحثين عن الحقيقة المطلقة – وهذا غاية ما طلبه الصالحون من قبلك!

(وطلب العلم لا يُختزل في الجلوس على مقاعد الدراسة في الجامعات والمعاهد، بل معناه تعلُّم ما ينفعك وينفع غيرك من علوم شرعية، حتى تستقيم على الطريق، وتُصلح نفسك ومن حولك)

هناك سرٌ عجيبٌ في طلب العلم**!!**

تأمل معي قوله صلى الله عليه وسلم :

"مَن سلَكَ طريقًا يطلب فيهِ علمًا، سَلك اللهُ به طريقًا من طرق الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها رضًا لطالِبِ العلمِ، وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانِ في جوف الماءِ، وإن فضلَ العالمِ على العابدِ كفَضلِ القمر ليلةِ البدر على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ".[أخرجه أحمد]

نعم كل هذا الثواب لطالب العلم، جزاء له على سَعيه في رفع الجهل عن نفسه وعمّن حوله..

كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[النجم ، ٤٠]

وقال جلّ في علاه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[الليل ٤]

تتنوع اهتمامات الناس، كُلّ منغمس في سعيه ومسلكه في الحياة، فانظر إلى سعيك، هل هو سعي أرضي دنيوي؟ أم هو سعي سماوي علوي؟

هل سعيك يتعلق بطرق الوصول الى سعادة الدنيا وأملاكها ومتاعها، والوصول للمال والجاه ورضا الناس؟

أم هل يتعلق بالبحث عن حقيقة الدنيا والآخرة والبحث عن الطرق الموصلة لرضاه عز وجل وللدرجات العُلى؟

قارن بين سعي عبد منغمس في الدنيا ومتاعها ولذّاتها من تفاخر وتباهي، وجمع مال وكثرة طعام وشراب وملبس ومسكن، غارق في الفسحات وتمضية الأوقات ..

وبين آخر همّه الانخراط في معالي الأمور، من طلب علم وتتبع مجالس الذكر، ومدارسة كتاب الله، مشغول في تزكيه نفسه وإصلاح قلبه، يسعى في قضاء الحوائج وإصلاح ذات البيْن ونشر الدعوة.

أتظنهم يتساوون عند الله! لا والله حاشاه .. ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة١٨]

****

سنتحدث في هذا الكتاب عن بعض صفات أولياء الله الصالحين وصفوة خلقه المقربين وطريقهم ومنهجهم، لعلنا نتّبعهم فننال ما نالوا، اقرأ معي فلربما تجد في نفسك بعض صفاتهم .. فتجاهد نفسك للوصول إلى باقيها.. فتفاجأ يوماً ما إذ أنت قد أصبحت فرداً منهم!

هل هذا وارد الحدوث!؟

من رحمة الله بنا أن أتاح هذا الطريق لكل من أراده وسعى إليه من خلقه، ولم يقتصر في اصطفائه واجتبائه على فئة الأنبياء أو الصحابة وحدهم، فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

اسمع ماذا قال عنهم نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم:

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"إن أهل الجنة ليَتَراءَوْنَ أهل الغرف من فوقهم كما تَراءَوْنَ الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لِتفَاضُلِ ما بينهم» قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" [صحيح البخاري]

" رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين "...

السر في درجة الإيمان، وفي درجة التصديق..

إذن هو عمل قلبي مقترن بِإيمان عميق، وتصديق عال..

عمل قلبي مصاحب للعمل..

بإمكانك الحصول على هذه الدرجة الرفيعة إن زدت إيمانك وتصديقك..

وهذا هو الهدف من هذا الكتاب.

لا تخف من ماضيك ومن خطاياك مهما عظمت .. إن تبت وأنبت إلى الله وصدقت في سعيك ونيتك في نيل هذه الدرجة الرفيعة ..

ابتعد عن كل صحبة سيئة قد تؤثر في سيرك إلى الله.. بل ضع نية إن لقيتهم أن تأخذ بأيديهم .. وأن تأخذ بيد كل من تصادفه.. وتجذبه إلى هذا الطريق حتى تكون من المصلِحين .. واسأل الله أن يوفقك لذلك.

من هم أولياء الله الصالحين

هم صفوة العباد وخِيارهم .. نظَر الله تعالى إلى قلوبهم فوجد فيها خيراً فأعانهم، وأعانوا هم أنفسهم بدوام الاستقامة وصدق النيّة.

صدقوا وعزموا النية واجتهدوا واستعانوا بالله وتضرّعوا .. فوفقهم الله وأعانهم وسدّدهم .. انظر لعظمته ومنّته وكرمه سبحانه.

فما إن رأى في قلوبهم خيراً وصدقًا وحبًّا والتجاءً إليه سبحانه حتى اختارهم ربنا جل جلاله كي يعبُر بهم إلى طريق الهداية شيئًا فشيئًا، وخطوة خفيّة تتبعها خطوة خفيّة، وتيسيرٌ يتبعه توفيقٌ وهداية وولاية حتى الوصول ..

الله سبحانه هو الذي لفت نظرك إلى معالي الأمور.. وهو الذي وضع بين يديك ما يكفي لتصل الى أول الطريق.. حتى لو كنت في الحضيض.. إذا أراد أمراً هيّأ له أسبابه.

هيّأ الله لك أسباب الهداية فلا تضيعها من بين يديك!

إقرأ معي قصة بشر الحافي:

كان من أغنى أغنياء بغداد، قضى حياته غارقًا في الشهوات وكان شاربًا للخمر لاعبًا للقمار، جاءت لحظة التحول في حياة بشر عندما وجد في طريقه ورقة على الأرض كتب عليها : "بسم الله الرَّحْمَٰن الرحيم" تداس بالأقدام من المارّة فأخذها وقال: سيدي، اسمك ها هنا ملقى يداس! فذهب واشترى عطراً وعطر به الورقة التي عليها لفظ الجلالة ثم دفنها في إحدى فتحات حائط بيته حتى

لا تداس مرة أخرى، وعند نومه سمع في المنام من يقول: "يا بشر الحارث .. رفعت اسمي من الطريق و طيبته، لأطيبنّ اسمك في الدنيا والآخرة ولأرفعنَّه".

بعدها أنزل الله توفيقه وهدايته على قلب بِشر، جالس بِشر العلماء والصالحين وتعلّم منهم حتى أصبح من أشهر علماء عصره وأكثرهم ورعًا وصلاحًا وتقىً.

ابحث عن طريق الوصول إلى الله .. وستصل بعون الله؛ لكن اصدق الطلب !

****

بادِر لقد فاتتك الغنائم

تقاسموها وأنت نائم

ولو رأيتَ الذين فازوا

نُحتَ كما ناحت الحمائم

إن رُمت أن لا تكون نادم

قُم لحبيب القلوب لازم

ولا تنم ساعة التجلّي

فليس يحظى بالوصـ - ـم

خطوات في طريق الولاية

فلنشدّ العزم ونتّبع آثارهم .. ولنبدأ على بركة الله ..

١. أول خطوة في طرق الولاية: التوبة النصوح مع تذكر الذنوب والندم عليها والاستغفار منها، وطلب العفو من العفو الكريم، مع العلم أن عفو الله أعظم من كل ذنوب الانسان مهما كثرت.

لا تيأس من ذنوبك أو من سوء خلقك أو من حدة طبعك، وتب الى الله توبة نصوحا ثم الزم الاستغفار، (يأذن الله للعبد بالتوبة، ثم يوفقه الله للتوبة، ثم يتقبل توبته)

ملاحظة: منهم من يستغفر الله في اليوم آلاف المرات ،يملأ صحيفته استغفاراً ليبدأ عهداً جديداً مع الله ليبيِّض صحيفته من الماضي وآثامه.

فإذا مُسحت السيئات وغُفِرت رفع الله البلاء؛ لأن الغاية من البلاء تطهير وتهذيب النفس، فإذا مُحي السبب (السيئات) بَطُلت النتيجة (البلاء).

فأمسك مسبحتك أو خاتم التسبيح والزم الاستغفار بالليل والنهار لا يفتر لسانك.

اللَّهمّ اغفر لنا جميع ما مضى من ذنوبنا .. واعصمنا في ما بقي من أعمارنا .. وارزقنا عملاً زاكيًا ترضى به عنا.

٢. اتقان الفرائض والمحافظة عليها.. وأجلُّها الصلاة، وبعدها الإكثار من النوافل، كصلاة الضحى والقيام، وتلاوة القرآن، وصيام النافلة، والإطعام والصدقات وغيرها.

وبعد المصابرة على الطاعة.. يورَّث العبد حلاوتها – والاستمرار يكشف الأسرار–

طاعة تلو طاعة ونافلة تتبعها نافلة.. وقيام على قيام .. يصفو القلب ويصبح أبيضاً كالصفا.

٣. مراقبون لله تعالى: **قبل أي تصرف يفكر ولي الله في نفسه: هل هذا يرضي الله تعالى، فلا يتصرف أي تصرف إلا والله تعالى أمام عينيه وفي قلبه، ناظر إليه شاهد عليه سبحانه.**

النتيجة: **يستقيم على أمر الله، فيحفظه** الله من المعاصي والذنوب ويرسل له الملائكة تؤزه للطاعة أزّاً.

٤. كثرة السجود مع كثرة التضرع والافتقار: **أكثِر من السجود في السنن، و في الضحى وفي القيام** كثرة السجود تفرغ الذنوب والخطايا فهي تذلل لله عز وجل .. وترويض النفس .. فهو يلتجئ ويفتقر إلى الله ويستغيث بالله أن لا يجعل في قلبه همًا إلا الله؛ رضاه .. لقاه .. وهذا هو ممشاهم الدائم.

ومضة: عندما تصبح قرة عينك في الصلاة وفي إطالة سجودك، فهذه علامة من علامات أولياء الله الصالحين تحققت فيك، فالصلاة هي طريق الولاية للهداية.

ناجي الله في السجود.. الله يحب من العبد الثناء عليه.. وأيضاً دبر الصلوات بعد الصلاة الإبراهيمية وقبل التسليم.. ادعُ الله اطلب ما تشاء .. اطلب منه أن يصطفيك ويجعلك من صفوة العباد ويرزقك ذروة الإيمان، فلا تمضي الأيام إلّا وأنت ترى في نفسك هداية بعد هداية وقرباً من الله يتبعه قرب.

ابدأ عند الدعاء بالصلاة الإبراهيمية على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ناجِ الله بيا ذا الجلال والاكرام .. يا ذا الجلال والاكرام .. يا ذا الجلال والاكرام..

ثم قل : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي وتدبيري إلى حولك وقوتك وتدبيرك

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

ثم ادعُ ما شئت واختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن عبوديتهم :

٥. "دوام ذكر .. و لزوم صمت .. ودوام طهر للبدن، والقلب، واللسان، ودوام شكر للنعم، و طهر جيب من الحرام" وهذه أيضاً من أسرارهم.

* دوام الذكر: "اذكر الله حتى يقال مجنون"، والذكر ليس محصوراً في التسبيح والتحميد والاستغفار بل يشمل قراءة القرآن .. تعلم العلوم الشرعية .. سماع موعظة .. سماع القرآن .. قراءة كتاب ديني .. الذكر هو كل شيء يذكرك بالله عز وجل وأي شيء ينفعك في آخرتك.

اللهم اجعل حياتنا ذكرا وعبادة.

* لزوم صمت: لا تخُض مع الخائضين في ما لا فائدة فيه.

قل خيراً أو حقاً أو ذِكراً أو اصمت.

* دوام طهر للبدن: البقاء على وضوء ما استطعت.

* طهر قلب: تخلِيته من الشهوات والشبهات وخواطر الشر وظن السوء، وهذا يأتي بالاستعانة بالله ودعائه و بمجاهدة النفس.

*** طُهر اللسان: تطهير اللسان من الكلام الذي بدون معنى -اللغو- ومن الغيبة والنميمة والسب والشتم، والفحش في القول.**

* دوام شكر للنعم: امتنان دائم واستحضار لنعم الله عليك الدينية والدنيوية. **حتى يغمر قلبك الفرح بالله وبنعم الله.**

* طهر جيب من الحرام: **الابتعاد عن مصادر المال المشبوهة، وعن أخذ اموال الناس بالباطل وعن أخذ الربا وأكل مال الحرام.**

ومن أبرز عبودياتهم في طريق الولاية :

٦. **حسن الخلق: وهو من أقصر الطرق للفردوس** الأعلى.

قال صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنكُم أخلاقًا"** [صحيح الترمذي] .

مجاهدة النفس لبلوغ حسن الخلق عظيم عند الله تعالى ويحتاج تهذيباً للنفس ومصابرة وضبطاً واستعانة بالله.

فجاهد نفسك وانوِ بذلك أن تكون من أحب الخلائق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أقرب الناس إليه مجلساً.

وقال صلى الله عليه وسلم: "وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ" [صحيح الترمذي] .

المتشدقون: المتعاظمون.. القائلون أنا وأنا.

المتفيقهون: المتكبرون.

وقال صلى الله عليه وسلم: **"أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لمن ترك المِراءَ وإن كان مُحقًّا وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن ترك الكذِبَ وإن كان مازحًا وببيتٍ في أعلَى الجنَّةِ لمن حسُن خلقُه"** [صحيح أبي داوود]

وقال صلى الله عليه وسلم: **" أَلَا أُخْبِرُكم بمَن يَحْرُمُ على النَّارِ، وبمَن تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟ على كلِّ قريبٍ هيِّنٍ سهْلٍ"** [صحيح الترمذي]

٧. الدعوة إلى الله: وهي من أكثر الأعمال التي تنال بها حسنات مضاعفة.

قال رسولنا الكريم لعلي رضي الله عنه : **"والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النعم"** [متفق عليه]

قال النووي –رحمه الله– : "من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل إثم متابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك".

قال صلى الله عليه وسلم: " الدنيا مَلعُونة، مَلعُونٌ ما فيها، إلا ذكرَ الله ، وما وَالاهُ، وعالما أو مُتَعَلِّمًا" [صحيح الجامع]

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣]

قال الحسن البصري في هذه الآية: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحًا في إجابته، هذا خليفة الله.

أيضاً حينما ننظر في أعظم الخطوات في طريق الولاية نجِد:

٨. **تقوى الله والاستقامة على أمره سبحانه:**

التقوى: هي أن يتقِي العبد كل ما سوى الله (يزهد في الدنيا وزينتها وكل ما فيها)، ويستثمر رأس ماله وهي أنفاسه -وليس أيامه فقط- فهي مشروعه الأوحد .. لا يطيق تضييع ساعة من عمره من غير ثواب.

بالإضافة إلى عدة صفات ذُكرت في مواضع عدة في القرآن والسنة، توصل صاحبها إلى طريق الولاية وإلى مرافقة الحبيب المصطفى عليه السلام :

*حب الله ورسوله **" فإنك مع من أحببت"**

*كفالة اليتيم قال صلى الله عليه وسلم**"أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا" وأَشارَ بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بيْنَهُما [أخرجه مسلم]**

*تربية البنات، قال صلى الله عليه وسلم: **"مَن عالَ ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا حتَّى يَبِنَّ ، أو يَموتَ عنهنَّ؛ كنتُ أنا وهوَ في الجنَّةِ كَهاتينِ، وأشار بأُصْبَعِهِ السبَّابةَ والتي تلِيهَا" [رواه الألباني]**

*كثرة الصلاة على الرسول .. فهي إخراج من الظلمات إلى النور .. وهي المعلّم لمن لا معلم له تجلي القلوب جلاءً وهي واعظ من غير واعظ .

****

ولكن كيف وصل أولياء الله إلى هذا القرب الإلهي والمقامات العالية؟ لا تظن أخي الكريم، أختي الكريمة أن أفعالهم هذه جاءت بتلك السهولة، واعلم أنهم بشر أمثالنا.. ولكن اجتهادهم و صبرهم في البدايات، ودوام نظرهم للنهايات والمآلات من نعيم مقيم وحياة سرمدية أبدية، هي ما كانت الدافع وراء العمل.

وكان من أبرز مفاتيحهم ووسائلهم في هذا الطريق:

- الاستمرارية: **استمروا على الطاعات حتى ألِفوها وتعلقوا بها،** واستمروا في الابتعاد عن المعاصي ولسان حالهم يقول: **"إني أخاف الله"**.

  المفتاح هو الاستمرار.. والاستمرار يكشف الأسرار.
- المجاهدة والمرابطة على طهارة القلب وسلامته بمنع أي غل أو حقد أو كبر أو رياء من الدخول إليه، **ومجاهدة النفس على الطاعات وعلى ترك المعاصي.**
- التذلل لله والافتقار لعظمته وقوته وإحسانه ورحمته سبحانه.. واستحضار تمام غناه عنا وعن طاعاتنا.
- يتودد ولي الله بكثرة الذكر، ولزوم الصمت – عن اللغو والجدال .. فكثرة الذكر تعطي الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يكن يظن أنه سيفعله بدونه.

هؤلاء هم أولياء الله قد عرفوا وفهموا أن الدنيا نفق للآخرة وممرّ، فجاهدوا واستمروا وثبتوا الى أن اصطفاهم الله .

****

وبعد تلك المجاهدة، قطفوا الثمرات ويا لها من ثمرات...

الثمرة الاولى: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣]

أولياء الله هم أسعد الخلق يعيشون في طمأنينة وسكينة .. كيف لا، وقد اصطلحوا مع الله، وصدَق الله معهم في تحقيق وعوده لهم في القرآن، فعاملهم بلطفه وده وعفوه وجوده وإحسانه سبحانه.

أولياء الله آمنوا بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر، ثم اتّقوا باتباع أوامر القرآن ونواهيه ثم توكلوا على الله وفوضوا أمورهم إليه.

كل هذه الدرجات ثمنها إيمان وتقوى!؟ نعم هكذا ببساطة، آمِن واتّقِ الله باتّباع أوامره في القرآن والسنة النبوية، وانتظر ما سيُحدث الله في حياتك **من مفاجآت سارة !**

الثمرة الثانية: وُجهاء عند ربهم .. لهم جاه وقيمة وقدر عند الله ولهم عز ورفعة عند رب الأرض والسماوات.

الثمرة الثالثة: دعاؤهم مستجاب .. وقلّما يدعون دعوة فلا يستجيب لهم القريب المجيب .. كيف لا وقد أقبلوا على تدبر كتابه والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه..

كما في حديث أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **".. وإنْ سَألَني لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ "** [صحيح البخاري]

الثمرة الرابعة: إذا زار الكرب ولي الله .. قذف الله في قلبه السكينة وكان أسرع ما تكون نجاة الله له .. فيمُر الكرب عليه كأهوَن ما يكون .. وهو على يقين أن الله لن يضيعه **وأن بعد هذا العسر يسرٌ منتظر، تصديقا بوعده: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.**

الثمرة الخامسة: لهم حياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة.

لهم أمن وأمان وسكينة في القلب، لهم مخرج من كل ضيق، وإخراج من الظلمات إلى النور. قال تعالى: **﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة ٢٥٧].**

الثمرة السادسة: فازوا بقرب إلهي .. معية إلهية .. كرامة إلهية .. وتكون بكثرة التعرف على الله من خلال دراسة وتدبر كتابه وأسمائه وصفاته، فتشرق شمس قلوبهم بحبّه وتعظيمه سبحانه.

"شمس قلوب العارفين أضوأ من شمس النهار"

فقد أخذوا من نور معرفته .. **حتى حازوا معيته وتنزلت عليهم رحماته.**

الثمرة السابعة والأهم: هم سكان الفردوس الأعلى وجنات عدن، الذين زرع الله كرامتهم بيده، فهم صفوة الخلق الذين اجتباهم واصطفاهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل:

" .. سأل موسى ربّه ....فأعلاهم منزلة؟ -أي أهل الجنة- فقال أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال : ومصداقه في كتاب الله عز وجل : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين } "، [متفق عليه].

****

إذن هم الذين اختارهم الله، بناءً على خير أو بصيص نور رآه سبحانه في قلوبهم، أو طلبٍ صادق منهم أن يهديهم الله وسط دعاء مضطّر، أو بادرة خير أظهرت طِيب أصلهم..

أعانهم الله وأعانوا أنفسهم **بالاستقامة والاستعانة به سبحانه، فتابوا وأصلحوا، وجاهدوا للابتعاد عن المعاصي، وصبروا على الطاعات، جاهدوا في تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم، واستعانوا بكثرة الذكر والدعاء، والتذلل لله تعالى.**

ما كان عليهم إلا: أن يستقيموا على أوامر الله .. ويتعلموا ويعملوا بإخلاص وينتظروا الخيرات العظام .. والمزيد من أبواب الهداية.

بدليـــــــل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾[محمد ١٧]

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت ٦٩]

فالحسنة تجرّ بعدها الحسنة.. بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ [الشورى٢٣].

فكانوا ممن سبقوا إلى الخيرات .. فسبقوا إلى الدرجات.

****

فحث خطوك وانهل ليـــــس ينفعنا في هذه الدار إلا صالح العمـــل

شتان بين مُجِـدٍّ رام مغفرة وبين من ضيع الأوقات بالكسل

لا يستوي عند رب العرش مندفع إلى الفضال ومن يجبو على مهـــل

هذي الليالي شهود في تسارعهـــا أن الحياة بنـا تمضي على عجـــل

ومن يريد جنان الخلـد منزلـــه لا بد لا بـد أن يـــرقى عن الزلـل

تنقسم أعمال العباد إلى:

١-أعمال القلوب مثل: (سلامة القلب، التوكل، حسن الظن بالله، التقوى، الإحسان)

٢-أعمال الجوارح مثل (الصلاة، الصوم، الحج والعمرة، قراءة القرآن)

هل تتفاضل أعمال القلوب وأعمال اجوارح؟

"أعمال القلوب تفضُل أعمال الجوارح، ولعل ذرة من أعمال القلوب تعدِل أمثال الجبال من أعمال الجوارح، وأكثر الناس اليوم همّه كثرة التعبّد الظاهري، لكن الصفوة القليلة منهم تشغلها أعمال القلوب".

- أعمال القلوب عند أولياء الله:

أعمال القلوب هي التي جعلت أبو بكر الصديق يسبق باقي الصحابة؛ فهو لم يزد عليهم بصلاة أو صيام، بل سبقهم بشيء وقر في قلبه.

واعلم أنه لم يكن أكثر تطوّع النبي صلى الله عليه وسلم وخواصّ أصحابه بكثرة الصوم والصلاة، بل ببِر القلوب وطهارتها وسلامتها وقوة تعلقها بالله خشية له ومحبة وإجلالا ورغبة فيما عنده، وزُهدا فيما سوى الله.

كانوا أكثر الناس خشية وتعظيما لله لأنهم كانوا أغزرهم علما ومعرفة بالله، فمعرفة الله هي البداية، ثم يخضع القلب ويتعلّق ويطمع فيما عند الله حينما يتعمّق ويفهم أسماء الله وصفاته جل في علاه.

قال ابن مسعود لأصحابه: أنتم أكثر صلاة وصياما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وهم كانوا خيرا منكم، قالوا: ولم؟ قال : كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة.

ومن هنا جاء تركيزنا على هذه المقامات العالية ..

مقامات أعمال القلوب ..

****

القلب السَّليم

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء٨٨-٨٩]

واعلم أن غاية كل العبادات من صلاة وزكاة وغيرها: الوصول إلى القلب السليم.

ما هو القلب السليم!؟

هو قلب طَهُرَ من كل الأوصاف الذميمة.. تحلّى بالصفات الكريمة.. خالٍ من كل ذنب.. سلِم من كل عيب سلم من الشهوات والشبهات ..

بعيدٌ عن الدنيا .. مستغرق في الآخرة .. مطبوع على الخير .. غافل عن الشر (لا يخطر بباله).. غلب عليه حسن الظن بالناس وإن كانوا سيئين .. طيّب القلب .. حَسَن الظن بالله تعالى.

فإذا أردت الولاية ورفعة الدرجات فاجتهد في إصلاح قلبك، فسعيُ القلب أسبق من سعي الجوارح !

القلب السليم:

١. قلب فيه طهارة من الشك : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات-١٥]

قلب لا يشك .. بل كله يقين وتصديق بوعود الله وبشاراته في كتابه الكريم، طَهُر من الشك في بشارات الله **ووعيده ووعده سبحانه.**

٢. فيه طهارة من الشرك الأكبر والأصغر (الرياء).

٣. فيه طهارة من الشهوة: طهّر هذا القلب نفسه من شهوته بكثرة مدافعة المعاصي ومعايشَة الطاعات والصبر عليها، وهكذا جاهد الشهوات.

٤. طهارة من الشبهة: كلما مرت على قلبه شبهة تُعارض كتاب الله وسنة نبيه أنكرها وأنكر عليها ولم يرتضيها لنفسه وأنكرها على غيره وهكذا سلِم من الشبهات.

اختصار القلب السليم: هو القلب المخلص لله تعالى ..

عنوانه: الله شاهدي .. الله ناظري .. الله معي.

صاحب القلب السليم.. هو من أخلص قلبه من البشر ولم يرضَ على أعماله شاهداً إلا الله .. صافٍ نقيّ من كل شيء، خال سوى من الله تعالى.

قال ابن السمّاك :

ومن كان مع الله تارة وتارة .. كان الله معه تارة وتارة

ومن أعرض عن الله .. أعرض اللهُ عنه

ومن أقبل على الله بكليته .. أقبل الله سبحانه عليه بكامل رحمته.

ما العلاقة بين القلب السليم وحسن الخلق؟

اعلم أخي .. أختي .. أن مما يحول بين العبد وبين القلب السليم: سوء الخلق !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ" [صحيح البخاري] ، تركه الناس بسبب أذاه

وبذائته .. لسانه سليط .. مضمر الكيد والشر .. يخاصم بسرعة .. هو الذي يتجنبه المسلمون اتّقاء لشرّه.

سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امرأة ماتت .. كانت عابدة صوامة قوامة ولكنها كانت تؤذي جيرانها فقال "هي في النار" **[أخرجه أحمد]!**

فإذا أحببت أن يعاملك الله بأسمائه الحسنى :الرحيم، المحسن ،الكريم، المعطي، العفو، الودود ، فلتعامل هكذا عباد الله، بالحسنى، فالله للعبد كما العبد للناس ..

لا تمنع أحداً من الإحسان بقولك أو بفعلك، انفق من مالك ووقتك وعلمك لقضاء حوائج الناس، فمن جاد على الناس .. جاد الله عليه

ومن أحسن إلى الناس .. أحسن الله إليه

ومن عفا عنهم .. عفا الله عنه

فالله للعبد كما العبد للناس

طهِّر نفسك وزكِّها .. صفِّ قلبك ونقِّه ..

إذا خطرت في قلبك خاطرة سوء، ادفعها دفعا، ولو عادت فعُد وادفعها مرة أخرى، لا تسمح للأفكار المسمومة بالاستقرار في قلبك، لا تسمح لقلبك بالتلوث، **حافظ عليه نظيفا، سليما من البغض والحقد والرياء والكبر وظن السوء.**

واعلم أن المرء بقلبه ..

أما جنسه و لونه .. شهاداته .. مكانته .. عزوته .. أولاده وأهله .. أمواله مهما كثُرت .. كلها صفر أمام نية سوداء **!**

تبدأ القلوب فتتبعها الجوارح..

فإذا أطلقت اليد بالصدقات : فلِأنّ القلب أمر..

وإذا ذكر ربه : فلأنّ القلب ذكر..

وإذا بكت العين : فلأنّ القلب حضر..

قلب أوّاه: كثير التأوه من الخشية

قلب توّاب: توّاب من الذنوب والخطايا

قلب أوّاب: من شدة حبه؛ دائم الرجوع إلى الله من ذنب ومن غير ذنب في كل كبيرة وصغيرة، حباً وأنساً

عند سكرات الموت تذهب العقول من شدة الألم وتغيب .. عندها يبقى ما وقر في القلب وما عاش عليه في هذه الدنيا .. فيخرج ما في قلبه من إيمان عند هذه اللحظات الحاسمة!

"اللهم أصلح قلوبنا وارزقنا قلبا سليما يليق بلقائك"

****

مقام حسن الظن بالله "اليقين"

وهو من أعظم وأسمى المقامات القلبية لأولياء الله الصالحين.

يقول الله عز وجل في الحديث: **"أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء" [أخرجه أحمد].**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهو يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ" [صحيح مسلم]**

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل : قالَ:

"أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتعالى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبَارَكَ وَتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ"[متفق عليه].

لماذا غفر الله لهذا العبد مع كثرة زلّاته؟

ما هي حقيقة حسن الظن بالله !؟

لابد من معرفة حقيقة مغزى ومعنى هذه الأحاديث..

حقيقة حسن الظن بالله

حسن الظن بالله هو اليقين والتصديق المطلق بوعود الله لعباده.

هو اليقين بتمام رحمته بالتائبين..

واليقين بتمام إجابته للسائلين..

واليقين بقدرة الله على تحقيق وعيده للكافرين الظالمين .

هو اليقين والوثوق بقدرة الله التامة على تحقيق جميع وعوده التي وعدها في القرآن والسنة لعباده الصالحين ولعباده الصابرين وللمتقين وللمنفقين وغيرهم .

في حديث "أذنب عبدي ذنبًا.."

لم ييأس هذا العبد من كثرة ذنوبه، وكان في كل مرة يُذنب فيها يرجع إلى ربه تائبا مستغفراً، مُحسنا الظن بربه، ظانا به خيرا أنه هو الغفور الرحيم لعباده التائبين المستغفرين.

ومن هنا نفهم لماذا غفر الله لذلك العبد مع كثرة زلّاته..

لقد كان هذا العبد واثقا بأن الله لم يسمِّ نفسه الغفور إلا لأنه سيغفر للمذنبين .. ثقته المطلقة بأن الله عندما قال: "استغفروني أغفر لكم"، جعلته كلما أذنب، يرجع تائبا إلى ربه، وثِق بالله، فلم يضيعه الله.

اليقين هو نفسه مقام الأنبياء و درجتهم.. فكلما زاد عندك اليقين والتصديق والثقة بوعود الله وكلماته.. كلما اقتربت من درجة الأنبياء ..

فلا تستخف بهذه العبودية القلبية العالية!

شرط حسن الظن بالله هو إحسان العمل

حسن الظن بالله هو أن تحسن العمل ثم تنتظر الثواب الذي وعد الله به على هذا الإحسان..

فمن يحسن الظن بربه .. يدرك يقينا أن له ربا غفّارا يغفر الذنوب جميعا..

وأن له ربا يسمع ويجيب الدعاء..

ويدرك أن ما أصابه شيء من خير أو شر، إلا بإذن من الله، وأن في أقدار الله الخير المطلق، والحكمة المطلقة وإن خفيت عن عقل البشر.

حسن الظن بالله هو الثقة المطلقة بأن الله لن يضيع عبده، وأن وراء كل أمر يحدث مصلحة خفية للعباد، وأن الإنسان لو اضطلع على الغيب لاختار الواقع !

حسن الظن بالله، هو أن تدعو الله واثقا بالإجابة، مُحسنا الظن بربك أنه القريب المجيب.

وهو أن تفعل الطاعة ثم تنتظر تحقيق وعده سبحانه عز وجل ..

ومن وعود الله تبارك **وتعالى :**

وعده للتائبين .. بالمغفرة

وعده لطلبة العلم .. برفعة الدرجات

وعده لغاض البصر .. بحلاوة الايمان في القلب

وعده للمنفقين.. بالرزق أضعاف أضعاف ما أنفق

وعده للصابرين .. بأن يصب عليهم الأجور صبـًا صبـًا

وعده للمستغفرين.. بالرحمة والمودة وقبول التوبة واستجابة الدعاء.

والكثير من الوعود التي جعل الله عليها الثواب الجزيل في القرآن والسنة.

واعلم أن العبد لا يحمله على العمل الصالح إلا حسن ظنه بالله **!**

فهو يثق بأن الله سيجازيه على أعماله وسيثيبه عليها.

حسن الظن بالله هو الذي يحمل العبد على العمل و يؤزّه إلى الطاعة أزّاً..

ظنّ بأن الله سيرفع درجته إذا قام من نومه ليصلي قيام الليل وليتلو القرآن .. فجاهد نفسه على القيام .. **وعلى إنهاء ورده من القرآن.**

سهر الليالي في طلب العلم .. وجاهد نفسه على غض البصر .. وعلى الخشوع في الصلاة .. **جاهد نفسه على النوافل وعلى ترك المعاصي .. كل هذا بسبب حسن ظنه بالله، بأنه سيجازيه ويرفع درجاته بهذه الأعمال.**

وهكذا كلما زاد حسن الظن بالله زادت طاعته وزاد صبره عليها.

حسن الظن بالله والأمل الزائف

وجب على الإنسان أن يعلم أن حسن الظن بالله مع اتباع الهوى، هو عجز وغرور، وأن هذه الوعود ليست للجميع، بل فقط لمن دفع ثمنها!

قال صلى الله عليه وسلم :"الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللهِ"[أخرجه الترمذي]

فلا تقترف المعاصي وتتمنى أن يغفر الله لك!

كثير من الناس يظن أنّه لو فعل ما فعل ثم قال: استغفر الله، زال أثر الذنب وذهب هذا بهذا، لذلك نجد الكثير منهم يستغفرون وهم في الذنوب غارقون!

وقد يقول قائل: أنا أفعل ما أفعل ثم أقول: سبحان الله وبحمده ١٠٠ مره، فيُغفر ذنبي كله، محتجّا بالحديث الذي أخرجه البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مره حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر".**

هذا النوع من الناس تمسك بهذه النصوص، واتّكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه، فإذا عوتب بخطاياه وذنوبه سرد ما يحفظه عن سعة رحمة الله ومغفرته، فرحا فخورا بنفسه!

والحقيقة أن حسن الظن بالله إنّما يكون مع الإحسان بالعمل والتوبة النصوح..**كمن غرس الزرع ثم انتظر قطف الثمار.**

أحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له .. **وليس أبعدهم عنه!**

كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل .. أساء الظن بالله عندما اعتقد أن الله سيغفر له مع إصراره على المعاصي والظلم.

وكيف يكون الإنسان محسن الظن بربه وهو شارد عنه، حالّ مرتحل في مساخطه وما يغضبه! مقيم على المعاصي مضيع لحقوق الله وأوامره، وهو مع هذا يحسن الظن بربه سبحانه !

وهذا من أكبر خدع النفس، وما هو ألا أمانيّ زائفة !

وهذا هو الغرور بعينه والسذاجة والجهل !

وقد قال سيدنا ابراهيم لقومه: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات٨٦] .. أي فما ظنكم أن يفعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ومن تأمل هذا النص حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو نفسه حسن العمل.. فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل، ظنه بربه أن يجازيه على أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه ..

وبالجملة إحسان الظن بالله إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة وأما انعقاد أسباب الهلاك فلا يأتي إحسان الظن بالله معه بشيء.

فما ينفع المجرم أسماء الله وصفاته سبحانه وقد باء بسخطه وغضبه ووقع في محارمه وانتهك حرماته.

وبالمقابل.. إياك واليأس مهما عظمت ذنوبك .. فحسن الظن بالله ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل بالسيئة الحسنة .. واستقبل باقي عمره في الطاعات .. وهذا

العبد حق له أن يجلس وينتظر الفرج والرحمة والسكينة والطمأنينة.. مهما بلغت ذنوبه ! ..فقد قدم موجبات المغفرة .. وموجبات الرحمة، **وحق له أن يُحسن الظن بربه.**

ثمرات حسن الظن بالله

مَن أحسن الظن بالله كان من أكثر الناس تفاؤلاً بالمستقبل .. ألم ترَ أناساً متفائلين في حياتهم؟ يعلمون يقيناً أن عاقبة كل أمرهم خيراً؟! بلى هم موجودون في كل مكان .. ها أنت قد عرفت سرهم .. انه حسن الظن بالله.

حسن الظن بالله يجعلك تثق بأن الله لن يتخلى عن المؤمنين ولن يضيعهم ولن يضيع أعمالهم ..

حُسن الظن بالله يعلّمك أنه من المستحيل أن تطيعه وتُذل، ومن المستحيل أن تعصيه وتعز، وأنه من المستحيل أن تدع شيئا من أجل الله ولا تعوض عليه.

ومن عرف الله أحسن الظن به ..

يجب عليك أن تعرف أن المؤمن عزيز على الله .. فعندما يكون الناس في همّ وخوف وفزع.. يكون المؤمنون في راحة وطمأنينة وسكينة.

مَن أحسن الظن بالله تفاءل بالمستقبل، وأيقن بأن عاقبة الأمور كلها خير وبأن الله لن يضيعه، وهذا هو كمال الإيمان.

وثِق بأن الله تعالى لن يتخلى عن عبده إذا استقام على أمره، فإذا كان ماله حلال.. صلاته خاشعة.. غاض لبصره ..حافظ لحدود الله .. بريء من حقوق العباد .. عندها فليبشر بعطاء الله.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة١٨]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

مقامات حسن الظن بالله

تعال نتدرب على حسن الظن بالله .. لعلّنا نصل إلى اليقين وهو أحد مقامات الأنبياء ..

فلنبدأ بالترتيب في مقامات حسن الظن بالله :

١. حسن الظن بالله عند التوبة بأنه سبحانه سيقبلها، **فالله** لم يسمِّ نفسه الغفّار، غافر الذنب وقابل التوب، إلّا لأنه يريد أن يغفر لك ويتوب عليك.
٢. حسن الظن بالله عند الابتلاء بأنه لن يضيّعنا، وليكن وقتها شعارك (لعله خير).
٣. حسن الظن بالله عند الدعاء بأنه سبحانه سيستجيب دعواتك **وسيعطيك أكثر مما تتمنى.**

عند التوبة...

يجب أن توقن عند التوبة بأن الله لم يسمّ نفسه الغفّار، إلا لأنه يريد أن يغفر لك ويبيض صحيفتك إذا صدقت توبتك بالعزم على ترك الذنوب والمعاصي.

عندما تذنب ذنباً .. سارع إلى الاستغفار والتوبة ولا تنتظر .. وإذا أذنبت ذنباً آخر فسارع إلى الاستغفار مرة أخرى دون انتظار .. وهكذا حتى تدخل تحت مسمى التوابين، واعلم أن الله يحب التوّابين .. وثِق بأن الغفّار سيقبل توبتك وسيغفر ذنبك.

وهذا هو حسن الظن بالله عند التوبة.

أما عند الابتلاء ..

فيجب أن توقن أن: **"ما مِن مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلَّا كَفَّرَ اللهُ بها عنْه، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها" [صحيح البخاري]**، وهذا من نِعم الله وفضله على العباد .

واعلم أنه: **"ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا مِن خطاياه" [صحيح البخاري]**

انظر إلى رحمته بك، حتى حزنك وهمك ومرضك، جعله الله لمصلحتك و مطهرة لذنبك، فاللهم لك الحمد حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أما عند الدعاء...

فقد قال نبينا الكريم "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب لاه غافل" [أخرجه الترمذي].

لذلك ينبغي للعبد أن يجتهد في الدعاء موقنا بأن الله هو القريب المجيب، هذا وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، أيقن بالإجابة يُستجاب دعائك.

****

.....مفتاح القرب من الله .....

ما هو .. ؟! ومن يملكه !؟

العبد هو من يملك هذا المفتاح بدليل :

"اذكروني أذكركم" ابدأ أنت بالذكر يذكرك **الله.**

"وإذا أتاني مشيـًا أتيتُه هرولةً" ابدأ بخطوة يقربك الله إليه خطوات.

فكيف تستخدم هذا المفتاح ؟!

كيف تتقرب إلى الله؟!

عادةً، القوي هو الذي يحدد العلاقة مع الضعيف..

إلّا العلاقة مع **الله ..**

الضعيف فيها هو من يحدد العلاقة مع الله القويّ !

"أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء "..[أخرجه أحمد]

"أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه" [صحيح ابن حبان]..

ابدأ بالخطوة الأولى...

بداية.. اطلب الهداية من الهادي سبحانه وافتقر إليه .. ادع الله : (اهدني يا من لا هادي لي سواك) وأحسِن الظن بالله عز وجل وأيقن بإجابته لدعائك.

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[يوسف٨٧].

الخطوة الثانية ..

ثم أكثر من مفاتيح القرب منه سبحانه .. واطرق بابه بكثرة الاقبال على الطاعات ومجاهدة النفس على ترك الشهوات.

ويجب عليك أن توقن باستجابة الدعاء وتوقن بوعده: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر٦٠] .. قال عياض: ظنه بالله.. بالاستغفار غفرانًا .. وبالدعاء إجابة .. وبالسؤال عطاء.

وبالمجاهدة تأتي المشاهدة ...

والمجاهدة: تلحقها الهداية للصواب بإذن الله.

ما إن تنوِ ويرى الله منك بادرة خير، حتى تبدأ سبل الهداية بالتجلي أمامك شيئا فشيئا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت٦٩]

****

دعنا نتذكر النقطة قبل أن نكمل الطريق..

بعد أن ذكرنا القلب السليم وضرورة المجاهدة في إصلاح قلبك وتطهيره من أمراضه، لأن قلبك السليم هو منقذك يوم تلقى ربك، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء ٨٩] .

وبعد أن استفَضنا في عبادة حسن الظن بالله وأشَرنا إلى أنه نفسه مقام اليقين الذي اختص به الأنبياء، وأن اليقين بالله يكون ...

١. عند التوبة: بأن الله سيغفر لك..
٢. .وعند الابتلاء: بأن الله لن يضيعك..
٣. وعند الدعاء: بأنه سيجيب دعوتك ..

وأن هذا الشعور القلبي هو الذي يؤزك للعبادة أزاً.

وأن هذه العبوديات القلبية هي التي جعلت أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يسبق الصحابة، فهو ما سبقهم بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشي وقر في قلبه.

وقد ذُكر لبعضهم شدة اجتهاد بني إسرائيل في العبادة .. فقال: إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده، فمن كان بالله أعرَف كان منه أخوَف.. وفيما عنده أرغَب.. فهو أفضل ممن كثر صومه وصلاته وقلبه شارد وغافل.

(وفي هذا إشارة إلى تأثير عمل القلب).

و أن الأعمال تتفاضل بتفاضل أعمال القلوب..

أي أن عبودية العبد الغافل الذي ليس عنده من أعمال القلب شيء، لا تستوي بعبودية عبد محسن الظن بالله عز وجل، قلبه تقي سليم.. فأيهما برأيك سيكون أثقل في الميزان **!؟**

إذن، فقد حان الوقت لتجديد النوايا ..

قبل أن تكمل القراءة، ضع هدفا من اليوم أن تعيش بنفس مطمئنة وقلب سليم، مُحسن الظن بربك، أن تكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، من الذين كُتب لهم الأمن والأمان في الدنيا و الآخرة..

لتكون من هؤلاء الذين أعطاهم الله حياة طيبة .. فعاشوا البشارات في الدنيا قبل الآخرة.

ابحث في القرآن عن عبارات (لهم البشرى) و (بشرهم) و (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) واتّصف بصفاتهم.

أولياء الله الصالحين منَّ الله عليهم بالطاعة والاستمرارية.

فجاهِد واستمِر..

استمِر في ترك المعاصي وفعل ما يحبه الله .. استمِر بعرض بشائر الله و وعوده على قلبك .. استمر بمجاهدة نفسك حتى تصل إلى مرحلة أُلفة الطاعة .. فتأنس بكل شيء يقربك إلى الله .. وتبغض كل شيء يبعدك عن الله.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت٦٩]

قيل .. ما اجتهد عبد في الاستمرارية على:

طاعة الله عز وجل..

وكان أبعد ما يكون عن معصية الله..

واستمر في ذلك..

واستمر في طهارة وتطهير قلبه ..

إلا اصطفاه الله عز وجل وأتته الدنيا وهي راغمة !

تذكر حال أولياء الله الصالحين: قلب رباني .. في حركاته وسكناته .. وفعله .. وكلامه .. متعلق بربه حتى أُشرب قلبه حب الله وحب طاعته.

أحسِن ظنك بالله وجدد نيتك وتوكل على الله ....

****

مقام شكر النعم

من أجمل العبادات القلبية وأحبها إلى الله تعالى عبادة سيد الخلق والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وعبادة سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[سبأ ١٣]

ماهي حقيقة الشكر؟

الشكر هو أن ترى وتستشعر أن كل ما حولك من نِعم، ما هو إلا من فضل الله عليك، فتفرح بالنعمة، ويلهج لسانك بالحمد والشكر في كل وقت وحين.

الشكر هو الشعور بالامتنان لله الذي أعطاك و رزقك وأنعم عليك، الشعور بفضل الله وعِظَمِ إحسانه وواسع كرمه، فهو الذي يعطي بدون سبب، وبدون طلب، وبدون سؤال.

وتمام شكر العبد لله يكون في استخدام نعم الله في طاعته وفي الابتعاد عن معاصيه.

فالشكر إذن..

شعور قلبي بالامتنان

ونطق باللسان بالحمد والشكر

وعمل بالجوارح، بطاعة الله والابتعاد عن المعاصي.

الشكر صفة أصحاب الله..

الشكر صفة من تتنزل عليهم البركات والكرامات والأرزاق، فكان العبد بهذه العبودية مُؤهلاً لاستقبال المزيد من الرب المجيد .. ومن فاتته هذه الصفة فاته الخير الكثير !

والشكر من النعم التي يصطفي الله بها عباده، فليس أي أحد من العباد يوفقه الله لأن يكون عبداً شكوراً..

الدليل قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ ١٣]

وهو إيتاء يؤتيه الله من يشاء ..

بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان١٢]

فكان أصل الحكمة: الشكر، وهو من أعظم العطايا الإلهية ..

فالحكمة هي إحدى النعم التي يعطيها الله عز وجل للعبد الشكور.. فلا يشكر الله، إلا العبد الحكيم .. وهي التجارة الرابحة !

وقد سمّى الله تعالى نفسه الشاكر و الشكور .. وكلما فعل العبد خيراً أو نوى نية .. شَكَرهُ الله وكلما ترك معصية شكره الله ..

والشكر يزيل عذاب الدنيا والآخرة، الدليل قوله تعالى : ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ [النساء١٤٧] .

قاعدة ربّانية:

الله يعطي : أنا أشكر: الله سبحانه وتعالى يزيد

قال الحسن البصري: إن الله ليمتّع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكرها العبد قلبها عليه عذاباً !

فالنعمة إذن موصولة بالشكر .. والشكر مرتبط بالمزيد ..

قال **بعض العلماء :**

الشكر التجارة الرابحة .. جعلها الله مفتاحاً لخزائن رزقه .. وباباً إلى المزيد من فضله .. فأقيموا تجارة الشكر تقم لكم أرباح المزيد.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [ابراهيم ٧]

تأذن: أعلَنْ و أَعلَمْ إعلاماً مؤكداً.

قال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٥]

قيل: إذا لم تر حالك في مزيد فالزم الشكر.

والشكر أن لا تستعين بنعم الله على معصية الله، وأن تستخدمها في طاعته، نعمة السمع، نعمة البصر، النطق، الأبناء، الأهل، الصحة، العلم، المال، وغيرها.

الشكـــر: ينجي من عذاب الله وغضبه.

الشكـــر: يجعلك تعيش في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

كيف أكون عبداً شكوراً

كلما اتّسعت رؤيتك للنعم كلما كنت أكثر شكراً لله.

فاجلس وتذكر كل نعمة أنعم الله بها عليك لا تستطيع العيش بدونها.. (نعمة البصر)

هل فكرت يومـًا بحياة شخص أعمى كيف تكون !؟

فكر بنعمة السمع ..

الأهل ..

القدرة على المشي ..

القدرة على التنفس الطبيعي دون أجهزة ..

وجبة فطورك كل يوم .. أو وجبة غدائك ..

ساعة السكينة والهدوء التي أعطاك الله إياها ..

العلم الذي علّمك الله إياه ويجهله الكثير..

نعمة السكن والبيت الذي يؤويك..

نعمة الروتين اليومي الذي يتململ منه أكثر الناس .. هو أكبر نعمة .. يوم هادئ يمر عليك .. أفضل ألف مرة من يوم مليء بالصخب ..

نعمة الأبناء والأهل حتى مع متطلباتهم.

إياك والتململ من النعم، إياك والتململ من الواجبات البيتية، أو من المسؤوليات، أو من خدمة لم تعجبك من أحدهم، فيحرمك الله منها !

فالنعمة تحب من يحبها وتنفر ممن يبغضها.

قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لعائشة : **"يا عائشةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللهِ تعالى فإنَّها قَلَّ ما نَفَرَتْ من أهلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أنْ تَرْجِعَ إليهِمْ" [أخرجه ابن ماجه]**

البلاء: موكل بالمنطق (فالتذمر والسخط يتبعه البلاء ونزع النعم)

والعطاء: موكل بالمنطق (الشكر والثناء على الله يتبعه العطاء)

فإياك والتذمر من النعمة ومسؤوليات النعمة وتوابع النعمة .. إياك والدعاء على نفسك أو ولدك أو مالك .. فيسلبها الله منك.

لن تدوم .. ولن تطول أي محنة .. ستزول بأيام بإذن الله .. سيحولها الله إلى نعمة ومنحة (إن أنت حمدت وشكرت والتفتَّ للنعم لا للنقم).

وانظر ماذا قال الله تعالى عن لقمان :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان١٢] ، ربط إعطاءه الحكمة بالشكر .. لماذا ؟!

لأنه إذا لم يشكر سُلِب الحكمة .. ومِن الحكمة شكر النعمة!

وانظر وصْفه سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام:

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل١٢١]

فهذه بشرى جميلة لمن ألهمه الله الشكر .. **أن سيجتبيه الله عز وجل** و يزيده هداية ..

أركان الشكر ثلاثـــــة:

١. **عمل القلب: وهو أن ترى وتستشعر أن كل ما حولك إنما هو من فضل الله عليك؛ فيمتلئ قلبك بشعور الامتنان والثناء على الله.**

٢. عمل اللسان: أن يلهج بالحمد والشكر في كل وقت وحين.

فكلما تذكرت نعمة فقل .. اللهم لك الحمد .. اللهم لك الشكر.. لك الحمد يا رب على جميع نعمك التي لا تعد ولا تحصى.. لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

٣. عمل الجوارح: بأن تستخدم هذه النعم في طاعة الله عمليّا "التقوى".

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سبأ ١٣]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعظم النعمة وإن دقّت .. ويرى النعمة عظيمة حتى في كأس الماء.

وتذكر أن النعمة موصولة بالشكر وهذا يعني أنك إذا أوصلت النعمة بشاحن الشكر يستمر الإمداد.

وتذكر أن أكبر طريقة لدحض الخوف من المستقبل والحزن على الماضي وطرد وساوس الشيطان : (تعداد نعم الله وشكره عليها).

تدريب١ :

أحضِر قلمًا ودفتراً وابدأ بتدوين كل نعمة تخطر ببالك، وتذكر أيام الله التي أنقذك فيها من موقف أو من بلاء أو سهل عليك أمراً ما واشكره عليها بهدف ضمان معية الله ودوام هذه النعم عليك..

استحضر النعم القديمة التي ضاعت منك .. لماذا ضاعت يا تُرى !؟ هل كنت تشكر الله عليها ؟

وبماذا استعملتها؟ برضاه أم بمعصيته؟

إذن ماذا ستفعل مع نعمك الحالية كي لا تخسرها !؟

الأسباب الجالبة للنعم:

١. **استحضار النعم وشكر الله عليها**

٢. **طهارة القلب:** درِّب قلبك على الصفح والعفو والتسامح، اعفُ وسامح من أساء إليك و فرغ قلبك للتفكير بالله وحده وبنعم الله وإحسانه.

٣. **حب الخير للغير**: اشكر النعمة التي تراها عند غيرك تأتيك راكضة!

كيف؟

بأن تحب النعم عند غيرك وتفرح لهم بها، وتدعو لهم بالبركة، وإن كنتَ محروماً منها، فعندما ترى نعمة عند أحدهم فقُل: الحمد لله الذي أنعم على المسلمين .. الحمد لله الذي لم يحرم فلان .. اللهم بارك له في ما رزقته وارزقني مثله. **وهذا مقام عال من مقامات الشكر.**

تدريب٢ :

اختَر شخصا تعتقد أنك لا تنسجم معه، وادعُ له في السجود بأعظم أمانيك ليعطيه الله ويعطيك، ادعُ للمسلمين جميعاً ولا تستثنِ أحداً مهما كنت على خلاف معه.

وهذا التدريب يطهر القلب، ويعوده على الصفح والعفو فلا تستهن به.

واعلم أن القلب يتشرب ما يُعرض عليه باستمرار؛ فيصبح مرة على مرة سجيّة راسخة.. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت ٣٥]

ولا يهلك مع الشكر أحد..

فكثرة الشكر طريق الاصطفاء والاجتباء .. ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل ١٢١]

كن من زمرة الشاكرين...

ادعُ معـــي:

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه، وأَصلح لي في ذريتي إني تبتُ إليك وإني من المسلمين".

أوزعني: أعنّي

"**الحمد لله** حمداً كثيراً دائمًا بدوامه لا يزول ولا يبيد على جميع النعم".

"اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر".

"**اللهم بارك لي في ما رزقتني وزدني من فضلك** ".

كان سيدنا سليمان عليه السلام يلتقط لحظات النّعم فور ما يلْحظها، ويحفظها في قلبه دون أن يتجاوز ذلك المشهد..

كما فعل في موقف النملة ..

فلم يتعدَّ سليمان عليه السلام لحظة النعيم عندما سمع كلام النملة، بل استحضر حالا نعمة ربه وفضله عليه، ثم شكره عليها.

فوثّق الله شكر سيدنا سليمان في تلك اللحظة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل١٩]

بل وعندما رأى عرش ملكة سبأ أمامه، لم تشغله رؤية العرش عن المُنعم الذي سخّر له من يأتِ له بالعرش، ثم قال:

﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل٤٠].

دورك الآن في التقاط لحظات النعيم الخاصة بك..

ابحث عن لحظات النعيم في كل مكان، تأمّل بالنعمة واحمد الله عليها، وتذكر: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [االنحل ٥٣]

ولا تنشغل بالنعمة عن المنعم، عندما ترى النعمة اسأل المولى عز وجل.. يا رب دُلّني كيف أستخدمها لطاعتك؟ يا رب اهدني كيف أستخدمها في رضاك ..

إذا استثقلت من واجباتك أو من مسؤوليات أسرتك، أو استثقلت من عملك المتعب، فلا تتذمر، بل اسأل الله أن يديم عليك نعمة القوة و الصحة والعافية، لكي تبقى عوناً لأهلك وللضعفاء، ولكي تنفع المسلمين وتقضي حوائجهم.

كان من دعاء الرسول عليه السلام: **"اللهمَّ متِّعْنَا بأسماعِنا ، وأبصارِنا ، وقوَّتِنا ما أحْيَيْتَنا ، واجعلْهُ الوارِثَ مِنَّا" [أخرجه الترمذي]**

الهداية نعمة من أكبر النعم ..

كذلك العلم .. **الصحة .. وفرة الطعام والشراب** .. الاستقرار الأسري .. صلاح الزوج والأبناء والأهل .. الصحبة الصالحة .. نعمة المأوى والمسكن .. كلها نعم لا بد من شكرها.

هو يعطي .. وأنت تشكر قولاً وفعلاً .. **فيعطيك المزيد.**

وهذه هي خطوات سيدنا سليمان عليه السلام في شكر الله:

١. **يلتقط لحظات النعيم؛ فيمتلئ قلبه حمداً وامتناناً وشكراً لله تعالى.**
٢. ثم يطلب من الله تعالى أن يعينه على شكر هذه النعمة، **بقوله:** ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [النمل١٩]
٣. ثم ينسب النعمة إلى الله عز وجل بقوله : "هذا من فضل ربي" لعلمه أن هذه النعمة ابتلاء ليشكر أو ليكفر.
٤. يعترف لله أنه عندما يشكر فإنه يشكر لنفسه لأن الله غني عنه.
٥. لا يرى في النعمة إلا المُنعم سبحانه: أي أنه عندما يتذكر النعمة يتذكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ

﴿إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل ٤٠]

* أما أعلى درجة من درجات شكر الله:

أن ترى عبوديّتك لله وطاعتك لله.. إنما هي من فضل الله عليك و توفيقه وهدايته لك فتشكره عليها.

أوحى الله تعالى إلى داود أن اشكر نعمتي عليك.. فقال داود عليه السلام: "إلهي كيف أشكرك وشكري لك على النعم أعظم نعمة علي!" .. فأوحى الله له: "إذا علمتَ ذلك فأنت أشكَر عبادي".

.. فيا رب لك الحمد على الحمد ولك الشكر على الشكر ..

تدريب:

بعد أن عرفت أن الشكر طريق الاجتباء.

وأنه من رحمة الله بنا أن سهل علينا طريق أوليائه الصالحين بهذه العبادات القلبية الهينة، التي تجلب للنفس السكينة، آن لكَ أن تتخذ خطوة جديّة في تزكية نفسك والسموّ بها.

خصص يوميًا ١٠ دقائق فقط من وقتك .. واستجلب كل النعم التي تخطر على بالك واشكر الله تعالى عليها.

تذكر النعم التي منحك الله إياها في كل يوم .. سواء كانت نِعمًا مادية أو نِعمًا معنوية .. وركز على النعم المعنوية الخفيّة؛ لأن تأملك فيها هو الذي سيزرع في قلبك محبة الله الشكور الودود الذي يتقرّب إليك بنعمه.

.. اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.. حمداً دائماً بدوامك لا يبيد **ولا يزول..**

مقام التوكّل

قال صلى الله عليه وسلم: "يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ ألْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إضاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ" [أخرجه البخاري].

وهؤلاء هُم من يدخلون الجنة من دون حساب ولا عذاب وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم :**"هم الذين لا يسْترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون"[أخرجه البخاري].**

وهذا هو السبب الذي من أجله دخلوا الجنة بلا حساب.

والنبي صلى الله عليه وسلم يستزيد ربه: **"وَعَدَني ربِّي أنْ يُدْخِلَ الجنةَ من أُمَّتي سبعين ألفًا لا حسابٍ عليهم ولا عذابٍ، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاثُ حَثَيَاتٍ مِن حَثَيَاتِ ربِّي"[أخرجه الترمذي وابن ماجه]**

وقد نصت الأحاديث على أن إكرام الله لهذه الزمرة؛ كان بسبب توكلهم على الله حق التوكل ..

فهم لا يسْترقون (لا يطلبون الرقية من الغير؛ لكمال اعتمادهم على الله سبحانه وتعالى) ..

ولا يكتوون ولا يتطيّرون (لا يتشائمون)..

فما هو التوكُّل ؟! ولماذا كل هذا الفضل والثواب للمتوكلين!؟

التوكل هو قوة اعتماد قلبي على الله، وقوة ثقتي بأنه هو الذي سيعطيني .. سيدبِّرُني .. سيتولّى جميع أمري .. ويقيني بأنه هو السند الوحيد .. وبأنه يكفيني عن كل شيء وعن كل أحد ..

فلا يضطرب قلبي عند إدبار ما أحب وإقبال ما أكره .. فاعتمادي كله على الله..مع السّعي والأخذ بالأسباب دون الاعتماد الكامل عليها.

فإن صدَقت في توكلك على الله أبشر بالثمرات:

أولها: **سيجبرك** الله في ماضيك ويجبر كسر قلبك كأنك لم تحزن يومًا.. فيبدلك طمأنينة وسكينة تجدها في قلبك عوضًا عن لحظات الفقد والحزن والخوف التي مرت بك.

ثانيها: إن صدقت في توكلك على الله، أمّنك في مستقبلك فتصبح في دائرة الذين قال الله عنهم: "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" .. فيتولى الله جميع أمرك.

ثالثها: وإن توكلت عليه حق التوكل، قوّاك في حاضرك، وأسندك وهوّن عليك مصائبك، ثم يُعجل لك بالفرج ليُسعدك ويكفيك.

قال وهب بن منبه: "الغاية القصوى: التوكّل"

وقال ابن القيم : "التوكّل نصف الدين، والنصف الآخر الإنابة (كثرة الرجوع إلى الله في حال الذنب و حال الطاعة)" ..

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود٨٨]. ولا بد من مرافقة التقوى لعبودية التوكل لتكتمل كفاية الله لك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ .. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[الطلاق٢-٣]

اقترنت التقوى والاستقامة بالتوكل على الله في هذه الآية؛ لتأتي الكفاية والفرج تامًا.

والتوكل هو إظهار عجزك لله، وضمان كفالته لك، واقتناعك العميق بأنه سيكفيك.

تخيل معي شخصًا ما دخل في قضية ضد أحدهم .. هذا الشخص له قريب محامي من الدرجة الأولى لم يسبق له أن خسر أي قضية في حياته ..**وقد وكّله ليدافع عنه،** أي: محامي خمس نجوم سيتولّى قضيته، هل تتوقع أن ذاك الشخص سيكون خائفًا مرعوباً من أن يخسر قضيته**!؟**

أم سيكون مطمئنًا مرتاح البال ضامنًا الفوز **!؟**

هل فهمت الفكرة **!؟** ولله المثل الأعلى ..

فإذا كان الله خالق الأكوان هو وكيلك وأنت عبده الضعيف، المتوكل، المنيب إليه في كل كبيرة وصغيرة؛ فما مدى كفالته لك وما مدى رعايته لك وعنايته بك وكفايته لك.. **؟**

وعلى قدر العبودية تكون الكفاية.

الشكر + التوكل = حصن من أعظم الحصون ضد شر الشيطان وكيده، ومن كل الشرور.

ابحث عن قصص أولياء الله الصالحين الذين دافع الله عنهم ونصرهم ولم يُحِجهُم لأحد من عباده.. إنهم المتوكلون.

ليس هذا غريباً .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران١٥٩].

فما ظنك بالله إن هو أحبّـــك !

ملاحظة:

في كل حركاتك وسكناتك، وتنقلك من غرفة إلى غرفة ومن مكان إلى أخر قُل: حسبي الله.. توكلت على الله .. استعنت بالله .. لاحول ولا قوة إلا بالله .. علمها لأولادك، علمها لأحبتك ..

كيف أكون متوكِّلاً :

ماذا أفعل ؟!

- النقطة الأولى والأهم: الدعاء، اسأل الله أن يرزقك نعمة التوكل، وأن يجعلك من المتوكلين.
- **أعطِ كل مشاعر الحب والإجلال والتعظيم لله عز وجل، والخوف والخشية منه سبحانه.**
- أعطِ ثقتك المطلقة لله .. تخيل كيف يدبر الله أمر كل شيء في الكون منذ ملايين السنين، أيعجز عن تدبير أمرك؟! لا تجعل لك سنداً إلا الله.
- لا يخطر ببالك أحدٌ عند حاجتك وضعفك إلا الله، فلا تسأل غيره.
- أكثِر من كلمة **"توكلت على الله، يا مُعين بك أستعين"**، في كل شيء، وحتى في أبسط الأشياء.

- تدبر القرآن الكريم، لتزداد ثقة ويقينا بالله.

أخبرنا الله تعالى عن قدرته على تفريج وقضاء حوائج عباده بسبب، وبدون سبب، **وبعكس السبب..**

ففي قصة موسى عليه السلام ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾[البقرة٦٠]، حيث لا يوجد ماء و لم يوجد مع موسى عليه السلام سوى عصاه وحجر على الأرض ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة٦٠] ، **فإذا بها نبع ماء تظهر بدون توفر الأسباب!**

وفي قصة مريم عليها السلام قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم ٢٠،٢١].

وفي قصة زكريا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾[مريم ٨،٩].

و يقضي الله حاجة عباده بعكس السبب كما نجا سبحانه ابراهيم عليه السلام من النار ..

كان الإمام سعيد بن جبير يدعو فيقول: "اللهم أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك"، فالهج بالدعاء كما فعل السلف.

اصدُق في اعتماد قلبك على الله ..

كلما ألمّت بك حاجة أو ألمّت بك ملمّة أو محنة توجه بصدق إلى الله واعتمد عليه وفوض الأمر إليه .. وأرفق هذا التفويض بالإنابة والتوبة والاستغفار

.. ما توكل عبد على الله ثم صبر ولم يستعجل ولم يشك.. إلا أتته الدنيا وهي راغمة وجاءه الفرج.

"اللهم اجعلنا أكثر عبادك توكلا عليك"

****

مقام الرضا

حان الآن وقت التسليم بأن كل ما قضى الله فهو كائن ..

وحان وقت الرضا بابتلاءاتي .. والاعتراف بأنها بسببي وبسبب ذنوبي.. وبأن جميع متاعب حياتي .. فبما كسبت يداي.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى ٣٠]

والرضا هو عكس السخط، ويُراد به تقبّل ما يقضي به الله عز وجل من غير تردد ولا معارضة، وفيه سكون القلب لاختيار الله للعبد بأنه اختار له الأفضل، فيرضى به، والرضا هو باب الله الأعظم.. ومستراح العابدين.. وجنة الدنيا.

وليس من شرط الرضا ألا يشعر الإنسان بالألم والمكاره، بل هو ألّا يعترض على الحكم ولا يتسخّطه، فتخفّ وطأة الألم سواء ألم القلب أو ألم الجسد، وإذا كان الرضا عميقًا قد يختفي الألم إلى الأبد!

وهذا هو الرضا عن أقدار الله..

والرضا مستنزل الرحمات ومستدر الزيادة من نعيم الدنيا والآخرة.. وهو الذي يُفضي إلى القلب المنيب المخبت وإلى القلب السليم، وهو الذي يبغض إليك المعاصي.

الرضا من أجلّ وأعظم عبوديات القلوب .. وهو أساس الاستقرار والسكينة وراحة البال..

فإن فُقِد الرضا حلّت الهموم وحلّ القلق والشقاء .. واختل جانب من جوانب الحياة فيفقد الإنسان من سعادته واستقراره على قدر فقدانه للرضا.

ومن عظمة هذا الشعور القلبي جعله الله صفة أهل الجنة ..

قال تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر٢٨].. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [القارعة٧]

عدم الرضا يؤدي إلى الضغط النفسي وإلى القلق ثم إلى اليأس والقنوط ثم إلى الاكتئاب ..

التعب مع الرضا راحة .. والراحة من دونه تعب وكد

الفقر مع الرضا غنى .. والغنى من دونه فقر

الحرمان مع الرضا عطاء .. والعطاء من دونه حرمان

الرضا من أجل نعم الله على الإنسان في هذه الحياة.. فإذا رضي الإنسان ارتاح وهدأ باله وسكن .. وإن لم يرضَ حلّت معه الهموم والأحزان والقلق والنكد والتعب بالرغم من كل ما يملك من وسائل الراحة والاستقرار.

قيل: من دخل بيت الرضا فهو آمن، ومن استقبل كعبته فهو مُخبت ومن صلّى في محراب الرضا فهو ذو نفس مطمئنة.

قال وهب بن المنبه: "وجدت في زبور داود أن الله أوحى إلى داود فقال: يا داود هل تدري من أسرع الناس مروراً على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري".

الرضا ثمرته السكينة .. ومتى نزلت السكينة استقام العبد وصلحت احواله وصلح باله .. بشرط أن يفرغ قلبه مما سوى الله.

كيف تكون عبداً راضياً ؟

١. التسبيح، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ [طه ١٣٠] .

كثرة التسبيح في الصباح والمساء ودبر الصلوات تورث الرضا، وفي الآية توجيه من الله عز وجل لرسوله الكريم بأن يُكثر من التسبيح في هذه الأوقات لكي يرضى وينشرح صدره.

والتسبيح عبادة جميع المخلوقات، وإن أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى "سبحان الله وبحمده"

٢. تخيل الأسوأ !

قال عمر بن الخطاب: "ما ابتُليت ببلاء إلا وجدت لله علي فيه أربع نِعم: أنه لم يكن في ديني، **وأنه لم يكن** أكبر منه، وأنني لم أُحرم الرضا به، وأنني أرجو ثواب الله عليه".

فعند البلاء، انظر إلى مصيبة غيرك وقارن بينها وبين مصيبتك تهُن عليك، واحمد الله أن مصيبتك لم تكن في شيء آخر أكبر قد لا تستطيع تحمله.

فكّر كما فكّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. فتخيُلك للأسوأ يهون الأمر دائما، احمد الله دوما أن الأمر ليس أسوء مما هو عليه، واحتسب صبرك ورضاك عند الله يتضاعف أجرك.

٣. التركيز على النعم، وهو من أكبر أسباب السعادة، ويكون بأن تلتقط لحظات النعيم وتحتفظ بها في قلبك وفي ذاكرتك كما كان يفعل سيدنا سليمان، فيطمئن قلبك ويخف عليك ألم الابتلاء.

٤. الحديث مع الله ومناجاته طوال الوقت .. سواء كان ذلك الحديث شكوى لله أو أُنس به أو تسبيحه أو دعاءه أو قولك بعد كل خير تفعله (لأجلك يارب). **اللهم ارزقنا لذة الأنس بك.**

٥. الثقة بالله بأن وراء كل قدر خير **وحكمة عظيمة.**

٦. تجديد النية مع الله كل يوم قبل النوم على استقبال ما تبقى من عمرك بالطاعات، فأنت ستُبعث على نيّتك..

وهذه الخطوات وحدها كفيلة بأن تنقل روحك نقلة نوعية كبيرة إذا داومت عليها.

١. ستنال رضا الله عز وجل إن أنت رضيت -العلاقة متبادلة- .. ذُكر الرضا ١٠٠ مرة في القرآن الكريم .. خمس مرات بنفس النص : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة ٨] .

٢. ستنتقل لتكون تحت الرعاية الإلهية .. فلا يتركك الله لنفسك ..

ولن يتركك حتى تنغمس في المعاصي .. سيحذرك .. وينذرك .. ويرسل إليك إشارات حتى تفهم أنك انحرفت قليلاً .. فيهيّىء لك أسباب العودة اليه سبحانه.

لأنه يحبك .. فتصل إلى شفير القبر طاهراً بلا أي ذنب فلا تجد هناك في برزخك إلا النعيم!

٣. استشعار لذة وحلاوة الإيمان .. وهي الشعور بشدة القرب من الله ودوام ذكره باللسان والقلب.

٤. سرعة انقضاء البلاء.

أما أثناءه فاملأ نفسك بحسن الظن بالله والتوكل عليه .. فليست العبرة في الابتلاء نفسه؛ لكن العبرة في موقفك أثناءه ..هل نفسك مطمئنة ؟

هل تعلم أن عاقبة أمرك إلى خير ورشد؟!

فقط مطلوب منك أن تصبر وتحتسب ..

تجربة: (جُمع الناس كلهم في فترة ابتلاء وطُلِب من كل شخص أن يكتب ابتلاءه على ورقة وأن يضعها في صندوق .. بعد أسبوع جمعوا وقيل لكل واحد

منهم أن يختار ورقة ويقرأها .. **فحمد كل منهم الله على ابتلاءه،** -من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته-).

٥. حسن الخاتمة، فتنادي عليه الملائكة عند قبض الروح ، وعند الخروج من القبر يوم البعث، ويوم القيامة: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ **[الفجر٢٨]**

راضية: **عن سعيها راضية بما أعد الله لها من النعيم.**

مرضية: **من الله تعالى.**

قال تعالى في الحديث القدسي : **"يَا دَاوُدُ أَتَدْرِي مَنْ أَسْرَعُ النَّاسِ مَمَرًّا عَلَى الصِّرَاطِ؟ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِحُكْمِي وَأَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةٌ مِنْ ذِكْرِي".**

اللهم رطِّبْ ألسنتنا بذكرك ورطِّبْ قلوبنا بالرضا عنك وبشكر نعمائك اللهم إنا رضينا فارضَ عنا.

****

اللهم إنك ما سمَّيتَ نفسك المُجيب إلا لأنك ستستجيب دعائي.

و ما سمَّيتَ نفسك المؤمن إلا لأنك ستؤمنني من العذاب.

وما سمَّيتَ نفسك الرحيم إلا لأنك كتبت على نفسك الرحمة.

اللهم إني أُجاهد فيك فاهدني وسدّدني .. وإني أفعل ما أفعل لأجلك فارضَ عني..وإني أترك ما أترك لوجهك الكريم .. فاجبُرني وعوّضني يا إلهي ويا سيدي ويا مولاي.

قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى .. قالوا: يا أبا علي وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.

* وقال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره: قد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبيّ بن كعب عن التقوى فقال له :

أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى .. قال: فما عملت؟

قال: شمرت واجتهدت..

قال: فذلك التقوى.

* عن علي بن زيد قال خطبَنا عمر بن عبد العزيز بخناصرة فقال: أرى أفضل العبادة اجتناب المحارم وأداء الفرائض.

كيف لا وقد قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة ١٩٧]

* جاء رجل إلى العمري فقال عِظني فأخذ حصاة من الأرض فقال زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض قال زدني قال كما تحب أن يكون الله لك غدا فكن له اليوم.

* وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

فالتقوى هي أن تجعل بينك وبين المعاصي حاجزاً .. وأن يجدك الله حيث أمرك .. ويفقدك حيث نهاك.

وهي بكل اختصار ...

القيام بما أمر الله، واجتناب ما نهى عنه.

أي: أينما وجدت ذنباً أو معصية أو إثماً : فانسحب وابتعد فوراً .. فر فرارك من الأسد!

وأينما وجدت خيراً.. طاعةً.. ثواباً.. فقل سمعاً وطاعة **وشمّر واجتهد وبادر.**

ولكن لماذا كل هذا الاهتمام عند السلف بالتقوى!؟

- قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[آل عمران ٢٠٠]

التقوى فلاح لك! **لعلكم تفلحون: يقيناً ستفلحون!**

- قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات ١٠]

التقوى رحمة من الله، - كلمة لعلك في القرآن تأتي بمعنى اليقين-. لعلكم تُرحمون : يقيناً سترحمون!

- قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة ٢٨٢] اتق الله يزدك علماً.
- قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة ١٩٤] -مع المتقين- معية الله للعبد توفيق وسداد وحفظ ورعاية وعناية.
- قال تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٢] هداية.
- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية١٩] وإن كنت تقياً؛ تولاك الله و نصرك وحماك.
- قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الاعراف ١٥٦] سأكتبها: وعد من الله للتقي: **أن الله كتب رحمته لذلك العبد وأثبتها .. ليزداد اطمئناناً ويقيناً أنه مرحوم رحمة خاصة لا محال.**
- **قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل ٥٣] في كل مرة أنجاهم في كل كرب .. في كل شدة وفي كل موقف أنجى الله المتقين.**

- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران٧٦] محبة الله لك ثمرتها فرحة في قلبك وسعادة وسكينة **في حياتك.**

وكل هذا بالتقوى **!؟**

نعم وهناك المزيد والمزيد ...

- قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء٩]

إذا خفت على ذريتك، فإن تقواك ستحفظهم في حياتك و بعد مماتك.

فعلا **!؟** هل التقوى تحفظ الذرية ؟ نعم يحفظ الله ذريتك في حياتك وبعد مماتك بتقواك، **فاجتهد بالقيام بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه.**

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[الكهف ٨٢]

وقال بعض المفسرون في هذه الآية من سورة الكهف أن الغلامين المذكورين حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يُذكَر منهما صلاحا، وكان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة آباء !

حَفِظَهما الله بصلاح جدهما السابع!

سينتفع بتقواك أولادك، وأولاد أولادك، وأحفاد أولادك، وهلمّ جرّا، إلى حفيدك السابع ! والله ذو الفضل العظيم.

- قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس٦٢].. حين ينتشر الخوف

بين الناس يكون المتقون في أمن وأمان.. حين يعم الحزن يكون المتقون فرحين مطمئنين ..

سمّاهم الله أولياءه وبشرهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..

بشرهم بأنهم لن يخافوا ولن يحزنوا في حياتهم الدنيا، ولا عند سكرات الموت ، ولا في القبر ولا يوم الفزع الأكبر ....

من هم **!؟** إنهم الذين آمنوا: صدّقوا، وكانوا يتقون..

فعلوا الأوامر واجتنبوا النواهي ..

هذا هو سرهم..

اتقوْا فنالوا أجمل البشارات وأعظم العطايا..

المتقون هم الذين طبقوا أوامر الله، وانتهوا عن نواهيه،

سِر على أثرهم..

تدبر القرآن ولاحظ أوامر الله ونواهيه في كل صفحة ، وأْتَمِر بها وطبقها ، لتنال أجر المتقين.

وهناك المزيد للمتقين..

عندما تقرأ القرآن تَتبَّع هذه الألفاظ : **"**المتقين .. اتقوا .. يتقون **"** وانظر إلى صفاتهم وأفعالهم وماذا أعد الله لهم.

أعرفتَ الآن لِمَ اهتم السلف بمقام التقوى وحرصوا عليه **؟**

حان وقتك الآن ..

كيف ستطبق التقوى .. لتكون من هؤلاء الفائزين ؟..

اقرأ معي التالي بتركيز وتمعن ...

برنامج العمر

ثلاثية التقوى

إنها خطوات ثلاث .. احرص عليها واعتبرها برنامجا لعمرك كله حتى تلقى الله عز وجل .. وإنها إن شاء الله شاملة وافية، تكفيك وتغنيك عن أي شيء آخر إن التزمت بها وحافظت عليها طوال حياتك..

أولاً:

طهارة القلب والأفكار والخواطر ..

وإذا طهُر القلب طهُر اللسان وطهرت الجوارح.. احرص على سريرتك ..

احذر من البغض والغل والحقد .. حافظ على قلبك نظيفا من الأفكار والخواطر المسمومة.. فإذا مرّت بك خاطرة سوء ادفعها فوراً .. وإن عادت مرة أخرى فادفعها ولا تسترسل معها .. وهكذا مع كل فكرة سيئة .. لا تستلم لأفكارك **ولا تجعلها تنمو وتكبر حتى يصبح من الصعب السيطرة عليها .. بل عالجها من البداية.**

أمّا إن استغرقت بها واستقرت في قلبك فإنه سيتبعها الران والعياذ بالله، ثم ستتبعها معاصي اللسان والجوارح.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران١٣٤]

اكظم : امسك نفسك إحسانا منك

واعفُ :**سامح** لترتاح

والثمرة : حب الله لك

ثانيـاً:

البعـد عـن المعاصـي .. فـر منهـا فـرارك مـن الأسـد + **الإقبـال** علـى الخيـر والطاعـات .. تتبـع أوامـر الله ونواهيـه في القـرآن ، واجتهـد في التطبيـق، **وهـذه هـي حقيقة التقوى.**

ثالثـاً :

الاستغفار.. ما استطعت وبالتدريج ابدأ بمئة مرة باليوم .. ثم مئتين .. ثم ألف .. ثـم ألفـين .. وربمـا تصـل إلـى العشـرة آلاف مـرة في اليـوم .. واستحضـر خـلال الاستغفار ذنوبك واستحضر أن الله هو الغفور الرحيم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه فيما رواه عنه الإمام أحمد في كتاب الزهد: إني لأستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ألف مرة بقدر ديتي، أي: بقدر ذنبه !

هذا وهو أبو هريرة الصحابي الجليل، فكيف بنا نحن ؟

والهدف من الاستغفار بهذا العدد : هـو أن تصـل لمرحلـة يدنـدن بهـا لسـانك بالاستغفار والذكر دون أن تشعر وسط الحياة اليومية، ووسط انشـغالاتك دون أن تشعر، فيصبح لسانك رطبـاً بذكر الله.

*وهذه هي ثلاثيـــــة التقـــوى :

{طهارة الخواطر+ اجتنـاب المعاصـي و الاقبـال علـى الخيـرات + الاسـتغفار ليل نهار}.

عوّد نفسك عليها..

وجاهـد نفسـك إلـى أن تصـبح عنـدك عـادة وسـجيّة .. ولا تـنسَ الـدعاء والاستعانة بالله في كل كبيرة وصغيرة.

ويكفيك في تقوى الله أن يكون الله لـك نصـيراً .. ويكـون لـك وليّـاً .. ويكـون لك محبّـاً.. وأن يجعلك بعد ذلك مـن المفلحين الـذين لا خـوف عليهم ولا هـم يحزنون.

" اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكّاها"

****

مقامُ الإحسان

قال ابن القيم عن الإحسان: لب الإيمان وروحه وكماله.. وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل .. فجميعها منطوية فيها.

ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب الحياء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله تعالى .

فما هي حقيقة الإحسان؟

في الحديث الطويل لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان قال: "هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [صحيح بخاري].

الإحسان هو استشعار حضور الله معك ومراقبته لك، وإشهاده على أقوالك وأفعالك وإشهاده على خواطر قلبك ..

الإحسان يكون في العبودية مع الخالق، ويكون في حسن الخُلق مع الخَلق.

قال ابن القيم: "مفتاح حصول الرحمة هو الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده" ..

كيف أكون محسنا؟

تكون محسنا عندما تستشعر حضور الله معك في العبادة كالصلاة، والذكر، و الدعاء، وفي أثناء تلاوة وتدبر القرآن كأنك تراه.

تكون مُحسنا عندما تُشهد الله على أعمال قلبك فتستحضر مراقبته لتوكلك ولرضاك ولحسن ظنك به سبحانه.

تكون محسنا عندما تستشعر حضوره معك أثناء إحسانك للناس.. فتستشعر مراقبته لحسن خلقك.. ومراقبته لكل عملك.. ومراقبته لأفكارك ولخواطر قلبك..

لنعرف أكثر عن الإحسان، تعال لننظر في المفردات المتعلقة بمعاني الإحسان في القرآن الكريم مثل {أحسن، حسنى، إحسان، محسن}، لنلاحظ الأعمال التي اقترنت بالإحسان:

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ الإحسان عند الجدال.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥۗ﴾ عند الموعظة.

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ **في كل أقوالك** مطلقاً.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ عند التشاحن.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ عند الطلاق.

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ في العبادة، **وأحسن العبادة ما كان خالصاً لله تعالى كأنه يرى الله.**

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الإحسان في القول، وأحسن القول الدعوة إلى الله.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الإحسان في العمل، فالعبرة ليست في كثرة العمل بل بأحسنه.. فما بالك إن اجتمع الإحسان مع كثرة العمل!

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبه١٠٠]. الإحسان في الاتّباع والاقتداء.

أولاً: الإحسان في النيّة:

أن تنوي كل ما تنويه وأنت مستشعر بأن الله تعالى بأسمائه وصفاته وبأفعاله **يراقب نواياك كأنك تراه سبحانه.**

ثانياً: الإحسان في عبادات الجوارح:

الإحسان في الصلاة: صلِ وكأنك وحدك في هذا الكون تتعبد لله عز وجل وهو يراقبك ويراك.. صلِّ كأنك ترى الله !

الإحسان في الوضوء: أن تتوضأ وكأنه ينظر إليك **،قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحتِ أَظفارِهِ" [رواه مسلم].**

الإحسان في تلاوة القرآن الكريم وتدبره: باستشعار **أن الله حاضر معك يوجه كلامه إليك.**

الإحسان في الذكر والتسبيح والاستغفار: فتذكر الله كأنك تراه.

الإحسان في الدعاء: ادع الله كأنك تراه.

الإحسان في إتقان العمل.

الإحسان في واجباتك .. **والإحسان في تربيتك لأولادك باستشعار مراقبة الله لك.**

في تعاملك مع الناس .. في عباداتك .. في كل أعمال جوارحك .. **استشعر مراقبته لك ورصده لجميع أعمالك وأقوالك.**

ثالثـــاً: الإحسان في العبادات القلبية:

وهو استحضار مراقبة الله ونظره لجميع نوايا قلبك وخواطرك.

استشعر نظر الله لقلبك أثناء توكلك عليه، وأثناء شكرك لنِعَمَه، وأثناء خوفك ورجاءك استحضر شهوده لرضاك عن أقدارك ومراقبته لكل ما يختلج في صدرك من خواطر ونوايا وأفكار..

رابعـــاً: الإحسان عند الشدائد ..

حتى عند الشدائد هناك إحسان !؟

نعم والاحسان عند الشدائد هو أعلى درجات الإحسان.. ويُقاس بمدى ثباتك.. ويكون بالتسليم والتوكل على الله سبحانه أثناء الشدائد.

عند الشدائد: استدل بكرم الله الماضي عليك .. على كرمه القادم،

فالذي نجّاك حين أُغلقت الأبواب في الماضي .. قادر على إمدادك بما ألِفْتَه من حبال النجاة.. في كل مرة .. حتى تلقاه.

ولو كان الرحيم القادر سبحانه يريد حبسك في ظلمات الهمّ، ما أنزل عليك مفتاح الفرج في سابق أيامك، فاللهم اليقين وحسن الأدب في الكربات.

يكون الإحسان في الشدائد بالثبات، والتوكل على الله، والتفاؤل برحمته، فهو سندك وقوتك يجبرك **ويثبتك.**

الوكيل لا يضيع موكله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ .. ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾

يقول لك الله عز وجل اتّخذني وكيلا ! يعرض عليك وكالته ! ألا تتوكل عليه بعد هذا؟

إذا تقبّل الله الوكيل توكيلك لصِدق قلبك وإحسان عملك وتقواك .. قوّاك في حاضرك، وسندَك، وهوَّن عليك مصائبك وجبرك في ماضيك، فكان مستقبلك في منتهى الأمان!

متى تكون لحظة الثبات؟

عندما لا يأتي الأمر وفق ما تمنيت أو يأتي الأمر بعكس ما دعوت الله به!

هنا في هذه اللَّحظة .. إذا رضيت واحتسبت ولم تشك بوعود الله وتوكلت عليه سبحانه.. فأبشر ثم أبشر ثم أبشر بإمداد من اليقين والإيمان ورفعة الدرجات، في الدنيا والآخرة.

ما توكل عبد على الله، ثم صبر، ولم يشكُ، ولم يستعجل، إلّا أتته الدنيا وهي راغمة وجاءه الفرج.

انظر ما حدث في غزوة حمراء الأسد، حينما انتهى المسلمون من غزوة أُحد، لملموا شهداءهم وجرحاهم..متعبين حزينين.. خارجين من بلاء عظيم **بعدما خسروا معركة أحد.**

فأتى آت يقول : استعدوا فإن قريشًا قد أعدت لكم جيشًا عظيمًا .. فلم يجزعوا ولم يتذمروا، مع أنهم كانوا جرحى متعبين، بل قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وعَلَت همّتهم وزاد إيمانهم ، وأقبلوا على أعدائهم ثابتين واثقين بالله عز وجل، فوثَّق الله ردة فعلهم العظيمة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران ١٧٣].

وعند وصولهم إلى حمراء الأسد قذف الله في قلوب قريش الرعب فخافت ورجعت ،وانتصر المسلمون بصبرهم وثباتهم من غير قتال.. ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [ال عمران ١٧٤]

وهذا هو الإحسان عند الشدائد.

الإحسان هو الزيادة

قيل: الإحسان هو كل زيادة عن الفروض ..

كالعفو مثلا، فالذي يُظلَم ويعفو محسِن؛ لأنه كان يستطيع أن يأخذ حقه ممن ظلمه، وليس عليه حرج بذلك، لكنه اختار أن يعفو، فهو محسن.

والذي يتسع صدره للمسلمين **محسن،** فهو ليس مضطراً لاحتواء جميع الناس لكنه اختار هذا الأمر زيادة منه، فهو محسِن، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣]

مارِس كل أنواع العبادات وأنت مُحسن، ومارس كل أنواع المعاملات وأنت محسن، والإحسان يحتاج فقط إلى الوعي والتكرار حتى يتشربه القلب.

يقول ابن باز : فالإحسان هو أداء الواجبات وترك المحرمات والاجتهاد في أنواع الخير زيادة على ذلك ، من الصدقة على الفقير، ومواساة المحتاج، والإعانة على الخير، وعيادة المريض ، وتشميت العاطس، البدء بالسلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدعوة إلى الله، تعليم الناس الخير ... هكذا أهل الإحسان هم الذين يؤدون الواجبات وينتهون عن المحرمات، ومع ذلك يجتهدون في أعمال الخير التي لا تجب عليهم، والمُحسِن يعبد الله كأنه يراه ، وهو يستحضر هذه المشاهدة حتى يكون ذلك أشجع له على فعل الخيرات والمسارعة إلى الطاعات.

تكون محسناً عندما تفعل أوامر الله سبحانه وتعالى وتنتهي عن نواهيه، ثم لا تكتفي بذلك بل وتجتهد في فعل المستحبات وفي ترك المكروهات، وترك كل ما فيه شبهة .. بالإضافة لترك بعض المباحات التي تلهيك عن الله تعالى وذكره.

ثمرات الاحسان

١. **المحسِن نال محبة الله فأصبح من أحبابه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. [البقرة١٩٥]**
٢. **المحسِن فاز بإحسان الله، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات١١٠]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾. [الرحمن٦٠]**
٣. عطاء من الله فوق العطاء **للمحسنين، فقد ارتبطت الزيادة بالمحسنين، ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.[البقرة٥٨]**
٤. كتب الله البشرى للمحسنين: **﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج٣٧]**
٥. ومن ثمرات الإحسان**:** مراقبه الله فيمتنع العبد عن المعاصي والذنوب لأنه علم أن الله يسمعه ويراه .. يعلم سكناته وحركاته .. فيبادر في العطاء والبذل والإحسان.

أعظم ما تقيم به علاقة ودّ ومحبة بينك وبين الناس، وأعظم ما تتخلص به من عداوة الأعداء هو الإحسان ..

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت ٣٤]

أجمل عطاء ما كان بإحسان.

أجمل ذكر، الذي تذكره بإحسان.

وأعمق تلاوة للقرآن هي تلاوته بإحسان.

وأقوى دعاء مستجاب **هو الدعاء** بإحسان، كأنك تراه سبحانه.

احرص على ...

التوكل على الله كأنك تراه.

محبة الله كأنك تراه.

تقوى الله كأنك تراه.

الثقة بالله كأنك تراه.

التسليم لله كأنك تراه.

العبودية لله كأنك تراه.

فكلما كررت وكررت .. وعيت وتشربت وتعودت.

وكلما تخيلت مراقبته عز وجل لك .. كلما تشربت الإحسان.

وتذكر أن الله كتب الزيادة دومًا للمحسنين: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[البقرة ٥٨]

وكتب البشرى للمحسنين: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[الحج ٣٧]

وكتب حبه للمحسنين: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران ١٣٤]

وأعد الله الكثير الكثير للمحسنين .. اللَّهم اجعلنا من أكثر عبادك إحسانًا.

****

مقام المحبة

ما الذي يجعل العبد يُحسن في عبادته؟

ويُحسن إلى الخلق؟

ويجاهد نفسه على الطاعات؟

ويجاهد ليحسن خُلقه؟

ويجاهد ليبتعد عن المعاصي ؟!

إنه إيمانه بلقاء الله .. **الله** الذي أحبه وعبده واستسلم له واستأنس به طوال حياته .. **إيمانه بلقائه** مباشرة وحدهما ليس بينه وبينه ترجمان.

حقيقة محبة الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن

يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار" {صحيح البخاري}

قال ابن القيم: محبة الله هي إيثار ما أحبه الله وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيُحب ما يحبه الله ويُبغض ما يبغضه، ويوالي فيه ويُعادي فيه، ويتابع رسوله.

قال ابن رجب: المحبة لله درجة السابقين المقربين، وهي أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب.

قال النووي، معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أغراض الدنيا.

بناء جذور العلاقة مع الله

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [ابراهيم٢٤]

علاقة المؤمن بالله، علاقة قوية كالشجرة المتينة التي تضرب بجذورها عميقا في الأرض.

وكلما قويت الجذور وتعمقت بالإيمان..

وبقوة العلاقة مع الله..

وبكثرة مناجاته ودعائه وتوكله على الله ونيل رضاه ..

وبالإقبال عليه ويقينه بوعوده.. **وبعبوديات القلوب** .. وبالخبايا الحسنة والسرائر الطيبة والخلوات مع الله .. كلما طالت الفروع وامتدت عالياً في السماء..

فترتفع النفس عن كل السفاسف والمعاصي..حتى تكادُ لا تضرها فتنة ولا مصيبة ولا بلاء ولا أحزان.

فتصبح أعمال هذا العبد الذي قويت علاقته بالله .. وتصبح عبوديته وصلاته قد امتدت فروعها عالياً في السماء، من رضا الله عنه، بسبب عمق جذور الإيمان وعمق العلاقة بينه وبين الله..

فتستمر أعماله بالتصاعد في السماوات محفوفة بالقبول من الله عز وجل، بعكس من تُرَدّ عليه أعماله وتحبط، فلا تُرفع ولا تُقبل.

ومن هنا جاءت محبة الله لهذا العبد في السماء.

ومن هنا جاءه القبول من الله لأقل أعماله وأقواله.

فعلى قدر ما يكون القلب مليئاً بعبوديات القلوب التي ذكرناها ..

وعلى قدر الخلوات مع الله، والتضرع له، واليقين بأسمائه وصفاته ووعوده..على قدر ما يتقبّل الله عبوديات الجوارح..

مثلاً: صلاة عبد تختلف عن صلاة عبد آخر عند الله .. وصدقة عبد تختلف عن صدقة عبد آخر عنده عز وجل.

فصلاة عبد قلبه مليء بحب الله، والأُنس به، والإنابة إليه في كل كبيرة وصغيرة .. تختلف في درجة القبول عند الله تعالى عن صلاة عبد آخر، قلبه يختلط فيه حب الله مع حب الدنيا .. وإن كانت نفس الصلاة عند كليهما**! كذلك الصدقة، وباقي العبادات.**

إذَا فعبادات القلوب هي الأساس..

وكما قال السلف عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–:

"ما فضَلَكُمْ أبو بكرٍ بفضلِ صومٍ ولا صلاةٍ، ولكنْ بشيءٍ وقرَ في قلبِهِ".. لم يزد صومه على صومهم ولا صلاته على صلاتهم .. ولكن كان السر موجوداً في قلبه.

محبة الله وقوة العلاقة به والأنس به هي البداية .. وهي التي تحدد درجة قبولك عنده عز وجل .. قال صلى الله عليه وسلم: **"إن للهِ تعالى آنيةٌ من أهلِ الأرض ، و آنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِهِ الصالحينَ، وأحبُّها ألينُها وأرقُّها"** [السلسلة الصحيحة]

وقال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها وكان الجُنيد أصغرهم سنًا ..

فقالوا: هات ما عندك يا عراقي .. فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال–**عن محبة العبد لله**– :

"عبد ذاهب عن نفسه، متّصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظِرٍ إليه بقلبه، أحرق قلبَه أنوار هيبته، وصفا شُربه من كأس وُده، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله".

فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبَرك الله يا تاج العارفين.

إذن كيف أتّصلُ بالله؟

١. الصلاة هي أول اتصال بالله، قف بين يدي الله واستشعر نور الله الذي يحرق كل ما سواه.

قال ابن القيم: "للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه.. فمن قام بحق الموقف الأول، هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدّد عليه ذلك الموقف"

٢. التحدث مع الله طوال الوقت فهو الأنيس الدائم .. مناجاة .. دعاء .. إنابة .. **شكوى..** توبة .. استغفار.

٣. فتح المصحف والشروع بالقراءة هو اتصال بالله.

٤. ذكر الله بحضور قلب وبوعي.

٥. والأهم: تفعيل قانون العزلة في حياتك :

خلوة (لوحدي بعيدا عن الناس) + دعاء = اسم الله الوهاب

قانون العزلة

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[مريم٤٨-٤٩]

أجلس لوحدي مع الله وأدعوه بكل ما يستحضرني .. فيعاملني الله باسمه الوهاب الذي يعطي بدون استحقاق وبدون سبب !

خصّص في كل يوم ساعة واجلس فيها مع الله .. وكن على يقين أن هذه الساعة هي التي ستدفعك لمعالي الأمور، وهي التي ستعطيك الثبات والسعادة والقوة النفسية في هذه الدنيا .. فلن تكون هشاً تنكسر عند أدنى موقف بل ستصبح قوياً، مستمدا قوتك من الله.

قانون العزلة:

خلوة مع الله + دعاء = اسم الله الوهاب

ولا يهلك مع الدعاء أحد !

قال ابن القيم`:

إذا فرح أهل الدنيا بالدنيا .. فافرح انت بالله.

وإذا استغنى أهل الدنيا بالدنيا .. فاستغنِ أنت بالله.

وإذا تودد أهل الدنيا للدنيا .. فتودد أنت لله.

وإذا أنس أهل الدنيا بالدنيا .. فأنس أنت بالله.

ميزان المحبة

هذه الآية تعتبر ميزان يُعرف به مدى صدقك مع الله، قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة ٢٤]

تريد أن تعرف مدى حب الله في قلبك؟ انظر لقلبك..من أحبُّ إليك؟ الله ورسوله أم هذه الأشياء كلها!؟

تريد أن تقترب من الله أكثر؟ اشغل قلبك بكثرة الخلوات مع الله تعالى .. مع كثرة التضرع والدعاء له سبحانه، القلب الوجِل من أعظم ما يقرب الى الله تعالى .

اللهم يا دائم المعروف ..

يا قديم الإحسان..

يا من فاض بره ..

يا من زاد كرمه وأسبَغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ..

اجعلنا أحب عبادك إليك وأعزهم عليك..

كان السلف كلما دخلوا على رجل صالح بدا عليه الضيق، فسألوه مرة فقالوا: كلما دخلنا عليك رأينا في وجهك الضيق أتضايق منا؟ قال: نعم، قالوا: ألا تستوحش وأنت هكذا دوماً وحيد؟ فقال لهم: أيستوحش مع الله أحد!.

استغنَى بالله، فأغناه الله عن كل ما سواه.

"اللهم اجعلنا أفقر عبادك إليك وأغنى عبادك بك" .

ميزان محبتك لله هو مقدار اكتفاءك واستغنائك بالله عن كل ما سواه

تكتفي بالله حينما تجلس مع كتابه فتتجلى عليك أسرار أسماءه وصفاته.

تكتفي بالله حين تصنع لك في جوف الليل **وطنا تلجأ فيه كل ليلة إلى الله، سجودا ودعاء وتضرعا، لسان حالك يقول:**

إليك لجأت فهل تقبلني يا الله؟

فتستغني بالله الغني، **فيغنيك الله عن كل أحد سواه.**

فلا يتنافس في قلبك حب مع حب الله، لا حب أب، ولا حب ابن، ولا زوج ولا أنساب ولا أموال ولا حب فسحات ولا رحلات ولا غيرها.

فلا يبقى أحد في قلبك إلا الله .. وهذا هو حب الله.

وجب على كل قلب أن يتعلم حب الله

تلك الكائنات جمادات غير عاقلة، كجبل أحد، تُحب من أحبها وأحسنَ إليها .. **قال نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: "إن أُحداً جبل يحبنا ونحبه" [رواه مسلم]** ، فكيف بقلوب البشر؟ أين هم عن حب الله جل وعلا سبحانه وبحمده .. زاد كرمه وفاض بره .. وأسبغ على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة.. حتى عجزوا عن إحصاء آلائه.. فكيف غفل عنه الغافلون وأعرض عنه العصاة والمذنبون كيف يعيش العبد من غير حبه لرازقه، لخالقه، لمعبوده.

من أجل ذلك وجب على كل من كان له قلب أن يتعلم حب الله عز وجل، فما هي علامات حب العبد الله؟

١. أن تكون محبته لله عظيمة .. محبة العابد لربه.. محبة إجلال وعظمة ورهبة.. محبة المخلوق لخالقه والمملوك لمالكه والمرزوق لرازقه.. حباً مقروناً بالخشية والذل والخضوع والافتقار ..

حباً لا يشبه أي حب آخر.. لا يشبه حب الزوج ولا حب الأولاد ولا الآباء ولا الأصدقاء .

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة٢٤]

وفي الآية تهديد ووعيد شديد لمن آثر حب الأولاد والأزواج والمساكن والأموال وغيرها على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله.

٢. أن يحب كل ما يقربه لله، و يُبغض كل ما يبعده عن الله.

٣. أن يحب من حوله لا يحبهم إلا لله، فيحبهم من أجل الله، ويحبهم في الله.

قال صلى الله عليه وسلم: **"ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ."** [صحيح البخاري]

ثمرات حب الله للعبد

أولاً: من أحبه الله تعالى من أوليائه كان معه، سدده ووفقه في حركاته وسكناته وجعله مستجاب الدعوة .. **قال صلى الله عليه وسلم: "وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ."** [صحيح البخاري]

ثانياً: إذا أحبك الله ألقى في قلوب عباده محبتك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم٩٦].

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ إذا أحَبَّ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ" [صحيح مسلم]

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من عبدٍ إلَّا ولهُ صِيتٌ في السماءِ ، فإنْ كان صِيتُهُ في السماءِ حَسَنًا ، وُضِعَ في الأرْضِ ، و إنْ كان صِيتُهُ في السماءِ سيِّئًا ، وُضِعَ في الأرْضِ"[صحيح الجامع]

ثالثـاً: هناك نعم لا يعطيها الله إلا لمن يحبه .. بينما يحرمها للكثير من الناس..

الرضا، الطمأنينة، التوكل، وحسن الظن بالله .. تراه راضياً عن سعيه عن أولاده عن دخله عن كل حياته .. **متفائلاً .. سعيداً** .. فلو شققت عن صدر مؤمن لِتعلم مدى السعادة التي هو فيها.. لوجدتها لو وُزّعت على أهل قرية لوسعتهم.

اعلم أن هذا القلب لو ذاق نعيم الدنيا كله ولذّات الدنيا كلها، ولم يذق حب الله، فما ذاق شيئاً من ملذات الدنيا !

ولو جمعت البشرية كل علوم الأرض ومعارف الكون .. ولم تعرف الله؛ فما عرفوا شيئاً !

رابعـاً: إذا أحبك الله آتاك الحكمة .. ومن يؤتى الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً.

إذا أعطاك الله الحكمة .. أعطاك السكينة .. فينشرح صدرك ويطمئن قلبك ..

تأتي الحكمة ثمرة إيمان، ثمرة استقامة، تؤتى الحكمة مكافأة من الله ..

وتتبعها السكينة.. فإذا بالعبد واثق بربه فرح مطمئن ..

لا تراه إلا في حالة من التفاؤل، من القوة، من الثقة، من السعادة، هذه هي السكينة التي تسعد بها ولو فقدت كل شيء .. وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء.

سُعد أهل الكهف وهم بالكهف.. وشقي مَن دونهم من أهل القصور ..

هذه السكينة سُعد بها سيدنا إبراهيم وهو في النار ..

سُعد بها سيدنا يونس وهو في بطن الحوت ..

سُعد بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو في الغار ..

لذلك قيل إن الله يعطي المال والصحة والجمال والذكاء والقوة لكثير من الخلق.. لكنه يعطي السكينة بقدَر لأصفيائه، لأحبابه من خلقه، وهي أعظم نعم الله على الإنسان.

"اللهم اجعلنا من أشد الخلائق حبًا وتعظيمًا لك، وقربا منك"

"اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وكل ما يقربنا إلى حبك"

****

اسم الله الودود

سمّى الله نفسه الودود لأن هناك عباد سيقيم معهم علاقة ود باستجلاب العباد لأسباب المودة..

الودود .. **الذي يحب أحبابه ، ويُحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء على وجه الأرض .. حب خاص وهو حب الأولياء لله.**

وهو اسم من أسمائه تعالى ارتبط بمحبته لعبده.. وتودّده له .. وردَ هذا الاسم مرتين في القران الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج١٤]

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود٩٠]

واتّفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم٢١].

ومعنى اسم الله الودود، الذي يحب أنبيائه ورسله وأتباعهم من الأولياء والصالحين.. فيتودد إليهم ويقذف في قلوبهم حبه، فيحبونه حتى يكون الودود أحب إليهم من كل شيء أحبوه في الدنيا.

سبحانك ربنا ما أكرمك وما أرحمك ..

قال العلامة السعدي-رحمه الله- في تفسيره:

الودود الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء، حيث قرن الودود بالغفور .. ليدلّ ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا غفر لهم ذنوبهم وأحبّهم .. فهو الودود سبحانه الوادّ المحب.

فالفضل كله راجع إليه عز وجل في هذه المحبة التي قُذفت في قلوبهم .. فهو الذي هيأ لهم الأسباب..

تصوّر أن الله العظيم الكريم يتودد لعباده الصالحين!

تودّدَ سبحانه إليهم بذكر ما له من الصفات الكاملة العظيمة الجميلة الجاذبة للقلوب السليمة، والأفئدة المستقيمة .. **فعندما عرفوا الله بصفاته وأسمائه وأعماله في الكون .. ازدادت محبتهم له.**

فإن القلوب السليمة مجبولة على محبة الكمال، والله عندما ذكر لنا أسماءه وصفاته وما بها من الكمال والعلو والعظمة، كان هذا تودداً منه لنزداد تعلقاً وحباً به سبحانه وتعالى.

إذاً ..

تَودّد لنا الله سبحانه عندما عرّفنا بأسمائه وصفاته فكل صفة من صفاته لها خاصّية في العبودية، وبهذه الصفات يحدث انجذاب القلوب إلى مولاها، فلا نرى فيها إلا الكمال التام المطلق.

ثم تودّد لنا بذِكر نعمه العظيمة التي منّ الله بها على عباده .. وبها أوجدهم وبها أبقاهم وأحياهم .. وأتمّ لهم أمورهم وأصلح حالهم ..

وبهذه النعم قضى لهم كل حوائجهم، وبها هداهم إلى الإسلام والإيمان وفرّج كرباتهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور .. من ظلمات المعاصي إلى نور الطهارة والإيمان.

تذكّر نعم الله

أقرب شيء يُخرج الإنسان من الظلمات إلى النور .. تذكُّر نعم الله عليه ثم شكرها .. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [ابراهيم ٥].

ذكّرهم: فعل أمر بالوجوب، أيام الله: أيام النّعم وتفريج الكربات.

إذن تذكّر نعم الله وشكرها، وسيلة للخروج من الظلمات إلى النور بنصّ الآية.

ومن أدمن تذكُّر نعم الله .. انتقل قلبه إلى حسن الظن بالله .. فإن التذكير بنعم الله يجلب الود والمحبة .. ومن هنا يجب التنبيه إلى أن العبد لا ينبغي أن يَحمد أحداً على النعم إلّا الله .. يشكر الناس بحال لسانه فقط، أما قلبه فهو معلق بالله.

فلا يمتلئ قلبك شكراً وحمداً إلّا لله.

ولا يضطَربُ القلب إلا لله حمداً .. أما البشر فهم من سخّرهم الله لإيصال النعم.. ولهم عليك الشكر والعرفان فقط .

لأن جميع ما في الخلائق من نعم ومحبوبات القلوب من زوج وولد وأهل ومال، ومحبوبات الأرواح والأبدان، الداخلية والخارجية الظاهرة والباطنة، فإنها من محْض كرمه وَجوده يتودد بها إلى عباده، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها.

وكل نعمة من نعم الله تتطلب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه.

هناك عباد يعبدون الله بحب..

يصلون لله بحب ..

يسبحون ويذكرون ويستغفرون بحب ..

يدعون الله ويسألونه حبا وقربًا ..

ما من ندم أشدُّ ندمًا إلا على نعمة أنعم الله بها علينا فقصّرنا في شكرها، ولم نَرْعها ولم نلحظها.. وما أشدّ جهلنا..

فأنِرْ اللّهم بصائرنا لشُكر نعمك والرضا بقدرك.

وبعدما تودد لنا الودود بذكر صفاته الجميلة ..

ثم تودد لنا بذكر نعمه ..

تودد ودّاً آخر للعباد ..

عندما تجرّأ العبد على المحرمات وقصّر في الواجبات .. والله يستر ويحلُم عنه .. ويمده بالنعم ولا يقطع عنه منها شيئًا .. ثم يقيّض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ و يُسخر له من يُذكره بالله .. من يُذكره به جل في علاه..

فيتوب العبد إليه وينيب .. فيغفر له تلك الجرائم ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظائم، ويعيد له ما كان من الحب والود بعد طلب المغفرة.

ولهذا اقترن اسم الودود بالغفور في قوله عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ **[البروج١٤]**

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ **[هود٩٠].**

رحيم ودود: رحمة + مودة .. للمستغفرين

وفي هذا سر لطيف ..

هو أن الذين أذنبوا ثم استغفروا لذنوبهم وتابوا، غفر الله سبحانه لهم ثم أعاد الود الذي بينه وبينهم كما كان .. !

فلا يصح أن يُقال أن الود لا يرجع، بل هو يرجع مع التوبة والاستغفار .. فالله أفرح بتوبة عبده من الرجل الضال الذي رجعت إليه ضالته..

فالذين استغفروا غفر الله لهم ذنوبهم وأحبهم وأعاد الود الذي بينه وبينهم.

ومن كمال مودّته للتائبين .. أنه يفرح بتوبتهم فيأمر حملة العرش بالدعاء لهم.. فيتودد حملة العرش إلى الله بالدعاء للمؤمنين التائبين .. هنا يَشهد الكون كله على عظمته.. ها هو مِن حبه وعطائه وودّه.. تكون أنت في فراشك نائماً .. وتبقى طاهراً ذاكراً وحملة العرش يستغفرون لك !..

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾[غافر ٧،٨،٩]

تصوّر هذا العطاء! حملة العرش يعلمون أنه سبحانه يحب المؤمنين التائبين فيتقربون إليه بالاستغفار لمن تاب منهم .. أترى ودّاً مثل هذا الود! هذه رحمة الله بالخلائق .. فهو أرحم بهم من والديهم وأولادهم والناس أجمعين.

فلله الحمد والثناء وصفو الوداد .. ما أعظم بره وما أكثر خيره وما أغزر إحسانه .. وما أوسع امتنانه.

الدعاء باسم الله الودود..

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللَّهمَّ ذا الحبلِ الشَّديدِ، والأمرِ الرَّشيدِ، أسألُكَ الأمنَ يومَ الوعيدِ، والجنَّةَ يومَ الخلود ، معَ المقرَّبينَ الشُّهودِ، الرُّكَّعِ السُّجودِ الموفينَ بالعُهودِ، إنَّكَ رحيمٌ ودودٌ ، وإنَّكَ تفعلُ ما تريدُ" [أخرجه الترمذي]

والدعاء باسم الودود المحبوب الذي يَستحق أن يُحَبّ وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره وجميع محبوباته، من حديث معاذ أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: **"اللَّهمَّ إنِّي أسألُك فِعلَ الخيراتِ وتركَ المنكراتِ وحبَّ المساكينِ وأن تغفرَ لي وترحَمَني وإذا أردتَ فتنةً في قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ وأسألك حبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ وحبَّ عملٍ يقرِّبُني إلى حُبِّكَ . وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّها حقٌّ فادرُسوها وتعلَّموها" [أخرجه الترمذي وأحمد]**

أن يحبك الله هو شيء لا يمكن تصوره! أن يحبك خالق السماء والأرض الذي بيده خلق من هو فوقك ومن هو دونك .. الذي بيده سعادتك وشقاؤك، بيده صحتك، وأولادك، ومصيرك، وكل ما في هذه الحياة..

لذلك من عرف الله عرف كل شيء ومن فاتته معرفة الله فقد فاته كل شيء.

وإذا عرف العبد بأن ربه سبحانه ودود .. يحب أولياءه ويحب من أطاعه .. يحب المؤمنين المتقين ويحب الصابرين المتوكلين .. ويحب التوابين المتطهرين.. ويحب جميع الطائعين .. ويحب الصادقين المحسنين .. ولا يحب الظالمين الكافرين .. ولا يحب الخائنين المسرفين .. ولا يحب المختالين المستكبرين .. فلا بد لذلك العبد ان يحب ما يحبه الله من الأقوال والأعمال وأن يحب كلامه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

اللهم ما طلعت شمس ولا غربت إلّا وحبك مقرون بأنفاسي ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا كنت أنت حديثي بين جلاسي

وقال سهل بن عبد الله:

حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله.

وحرام على قلب أن يدخله النور فيه شيء مما يكره الله.

"اللهم عاملنا بودّك وحبّك يا ودود يا رحيم"

****

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الاسراء١٤].

ألا تراودك أحيانا فكرة أن تبدأ علاقة جديدة مع الله؟

علاقة ود وتوكل ومحبة وتفاؤل وثقة بأقدار الله؟ ألا تتلهف أحيانا لفكرة أن تنسى كل ما سبق من حياتك، وتبدأ إنسانا جديدا نظيفا من كل سوء ومن كل إثم كيَوم ولدتك أمك ؟

من منا لا يتمنى هذا الأمر؟

لذلك سنبدأ معا بتوضيح الأمور ووضع النقاط على الحروف، ولنبدأ من البداية...

كتابك الآن مفتوح ويجري عليه القلم في هذه اللحظة، يُكتب فيه ما تفعله في كل ثانية من الثواني وكيف أمضيتها بخير أو بشر**!**

يومًا ما سيطوى كتابك هذا و يُرفع**!..**

نعم سيُطوى ويرفع، عندما تخرج من هذه الدنيا..

وستلقى الله بنفس هذا الكتاب كما هو الآن..

سَيُقال لك: اقرأ ..

فتَفتح الكتاب..

وتقرأ كل ما فعلته وكل ما كسبته يداك من البداية..

من لحظة جرى عليك القلم، (منذ سن البلوغ) .. إلى هذه الساعة التي تقرأ فيها هذه الكلمات.. **وصولاً إلى موعد أجلك**.. وستقرأ كل هذا بنفسك! ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الاسراء١٤]

ماذا تظن نفسك قارئاً ! وماذا ستجد في هذا الكتاب !؟

تصور معي وعِش اللحظة .. ستقرأ فيه ما فعلته هذه الصباح وكل ما فعلته الشهر الماضي وكل ما فعلته السنة الماضية .. حتى أنك ستقرأ أشياء نسيتها كنت قد فعلتها قبل خمس سنوات وعشر سنوات وقبل عشرين سنة مضت! ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة٦]

معقول !؟

نعم فهذا هو العدل! الله جل في علاه أخبرنا أننا سنمر في هذا الموقف وقت استلام الصحف..

فالشخص الموفَّق منا والفَطِن .. هو الذي بادر في تبييض كتابه و صحيفته أولاً بأول بالتوبة والاستغفار .. والله الغفور كان يغفر له ويعف عنه أولاً بأول حتى تبقى صحيفته بيضاء إلى حين انتهاء أجله؛ فتحسُن خاتمته.

أما الشخص الغافل؛ فالقانون لا يحمي المغفلين!

حسناً كتابك لا يزال مفتوحاً ..

لم يُغلق بعد ..

لم يُرفع بعد ..

احمد الله واشكره؛ لأنه تركك حيًا ترزق حتى الآن.. لأنه أمهلك حتى اللحظة كي تتوب وتغيّر مجرى حياتك .. ولم يقبضك قبل سنة أو سنتين ولا قبل خمس سنوات ولا قبل عشر سنوات !

ها هي الفرصة لائحة بين يديك إذا كنت كيِّسًا فطِنًا ..

سأقترح على نفسي وعليك برنامجًا دعنا نسميه (سوفت وير) ..

هدفه : تنظيف صحيفة أعمالنا + تبديل سيئاتنا إلى حسنات (بإذن الله تعالى).. **قبل أن** نقف بين يدي الله تعالى بكتاب مليء بالخطايا والآثام، فنندم الندامة الكبرى معاذ الله !

فلنبدأ...

اجلس في خلوة مع نفسك،

تذكر ذنوبك وبادر إلى الاستغفار والندم عليها كلها ذنبًا ذنبًا ما استطعت ..

وركز على الندم.. استشعره من قلبك واعترف لله أنه لو رجع بك الزمان لن تفعل هذه المعصية، وبأنك لن ترجع إليها مرة أخرى.

تضرّع إلى الله ونادي عليه ، واستخدم صيغة الاستغفار التي يحضر فيها قلبك:

يا غافر الذنب .. يا قابل التوب .. يا واسع المغفرة .. يا أرحم الراحمين .. يا خير الغافرين .. يا رؤوف .. يا رحيم .. يا عفو .. يا الله يا تواب.

استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه..

رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين..

رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت..

وتوسل إليه برحمته أن يُجيب دعاءَك ويقبل توبتك :

أتوسل إليك برحمتك يا الله اقبل توبتي ..

برحمتك يا عفو اعفُ عني ..

برحمتك ارحم ضعفي واغفر ذنبي ..

وأثناء الاستغفار استحضر الخوف من عاقبة ذنوبك + رجاءك بعفو الله وسعة رحمته.

وهذا هو التضرع إلى الله ..

لا تشغل نفسك في المستقبل .. فالغيب في علم الله .. لكن اشغل نفسك بالاستغفار والاقلاع عن الذنوب، وسترى حياة طيبة موصولة بالنعم، موصولة برضا الله سبحانه ..

أفضل العباد عند الله أكثرهم استغفاراً وأقلهم ذنوبا..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فر من الزحف" [أخرجه الترمذي]

وقال صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن تسُره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار" [صحيح الجامع]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنكم لن تلقوا الله بشيء هو أفضل من قلة الذنوب.

والآن..

١. بعد خلوتك مع نفسك وإعلان توبتك إلى الله تعالى.

٢. انوِ واعزم بقلبك على أن تستقبل حياتك الآتية كلها برضا الله والبعد عن المعاصي ..

٣. وجدد العهد مع الله كل ليلة قبل النوم، بالاستغفار، وتخلية القلب من الغل والبغض والحسد، وسيد الاستغفار بحد ذاته هو صيغة تجديد العهد مع الله كل ليلة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"سيد الاستغفار أن تقول :اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها من

النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة" [صحيح البخاري]

ثم بيِّت النية مع الله على مجاهدة نفسك في اليوم التالي للبعد عن كل ما لا يرضيه.. واعلم أن العبد يُبعث على نيِّته.

٤. حافظ بعد هذا التطهير على الابتعاد عن المعاصي؛ فأينما تجد معصية.. أو إثم.. **أو** ذنب.. ذكّر ثم ابتعد وانسحب**!**

وأينما تجد خير.. طاعة.. ثواب؛ قُل سمعًا وطاعة.

٥. احرص على طهارة خواطرك .. الحديث بينك وبين نفسك .. فإذا طهرت الأفكار .. طهر اللسان وطهرت الجوارح ..

٦. حافظ على ورد يومي من الاستغفار ولا تتنازل عنه أبدا، ففيه النجاة **!** اقتدي بأبي هريرة ،واستغفر آلاف المرات، ومن زاد زاده الله.

استمر أخي.. أختي على هذه الخطوات قدر استطاعتك وكلما أحسست بضيق أو غمّ فاختلِ بنفسك واعمل (سوفت وير) لصحيفتك .. وهكذا كلما بنى الشيطان حصنًا هدمته باستغفارك .. انظر لقوله عليه السلام:

"طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا" [أخرجه ابن ماجه]

طوبى: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"

ولما سمع أبو هريرة هذا من النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد عنه: "إني لأستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ألف مرة بقدر ديتي"

كان أبو هريرة يستغفر الله اثني عشر ألف مرة على قدر عتقه من النار ! وهو الصحابي الجليل .. فكيف بنا ؟!

فلا بد أن تجعل لك وردا ثابتاً من الاستغفار في اليوم والليلة كما فعل أبو هريرة رضي الله عنه.

لتفصيل موسَّع حول الاستغفار يُرجى الاضطلاع على كتاب الاستغفار سفينة النجاة.

وفي النهاية نقول : "الحمد الله الذي يهدي من يشاء للتوبة قبل الموت وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

****

بعد أن تنقّلنا في بستان عبوديات القلوب، التي هي البداية والأساس وعليها يدور الأمر كله، سنذكر تاليا بعض عبوديات الجوارح التي تميز بها أولياء الله وغفل عنها كثير من الناس، فلا يتعبّد بها إلا القلة القليلة مع رفعة درجاتها وعظيم ثوابها.

غض البصر

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ {النور٣٠}

جاء في الأثر: قال داود عليه السلام: "إلهي مَن حزبك وحول عرشك؟ فأوحى الله إليه: يا داود الغاضة أبصارهم، النقية قلوبهم، السليمة أكفهم، أولئك حزبي وحول عرشي".

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعْمر طُرق الحواس إليه، وبحسب ذلك، كَثُر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وغضّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله .. وإن وقع نظر المسلم على محرّم من غير قصد، فليصرف بصره سريعا ولا يتمادى في النظر.

كل الحوادث مَبدؤها من النظر..

ولما كان النظر من أهم المنافذ إلى القلب، ولما كان إطلاقه بغير قيد ولا ضابط قد يوقع الهوى في قلب صاحبه، ويجعله يقع في شَرَك الفواحش والفتن.. وبما أن القلب السليم هو مطلب رفيع عند أولياء الله

فكان في غض البصر سلامة القلب والنجاة من الفتن، لذلك أمر الله بغض البصر حتى يأمن العبد عواقب السوء ويحافظ على قلبه سليماً من الآفات.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم الفضل بن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى امرأة جاءت تستفتي الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها.

وقد علّق ابن القيم رحمه الله على ذلك فقال:

وهذا منع وإنكار بالفعل، فلو كان النظر جائزا لأقرّه عليه.

والنساء مأمورات بغض البصر:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور٣١]

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "... يا معشر النساء إذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن" [أخرجه أحمد]

وأنفع علاج وأسرعه للنظرة، أن يصرف العبد بصره ولا يستديم النظر، فإن من استدام النظر أثِم وتعدى.

حقيقة غض البصر

١. غض البصر عن الجنس الآخر إلا عن المحارم، وغض البصر عن العورات، قال صلى الله عليه وسلم **"إنما جعل الاستئذان من أجل البصر" [أخره البخاري]، فقد شُرع الاستئذان لكي لا يقع النظر على عورات البيوت.**

٢. أن تغض بصرك عن زينة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ {طه١٣١}.

قال صلى الله عليه وسلم: **"انْظُرُوا إلى مَنْ هو أَسفَل مِنكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ فَوقَكُم؛ فهُوَ أَجْدَرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ الله عَلَيْكُم"** [متفق عليه]

فإذا أطلق البصر إلى زينة أصحاب الدنيا، فقد يؤثر هذا في قلبه فيميل، بل إذا ملأ عينيه من الظَلَمة وأعداء الدين والفنانين وغيرهم ممن يصدون عن سبيل الله فإن هذا سيطبع أثره في قلبه، أثر على أثر حتى يتشرب القلب حب الدنيا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذِكر الله وما والاه، وعالماً أو متعلماً" [صحيح الجامع]

قال بعضهم: مَن حَفظ بصره أورثهُ الله نورا في بصيرته.

وكان سفيان رحمه الله إذا خرج في يوم العيد قال: إن أول ما نبدأ به اليوم غض أبصارنا.

وكان الربيع بن خيثم يغض بصره، فمر به نسوه فأطرق (أي أمال رأسه إلى صدره) فظن النسوة أنه أعمى وتعوذن بالله من العمى.

وكان بعض السلف عندما يمرّون بالبيوت والقصور الفاخرة، يغضّون أبصارهم عنها، كي لا يُنافس شيء حب الله في قلوبهم.

ثمرات غض البصر

١. أن الله تعالى يرزق العبد حلاوةً في قلبه يتذوقها مباشرة عند وضع نية غض البصر..

تسمى حلاوة الإيمان: وهي الشعور القوي بالقرب من الله.

٢. يشعر برقة القلب وخشوعه عند ذكر الله .. والشعور بحضور القلب آنذاك والاتصال بالله .. وهذه مكافآت من الله الشّكور لمن غض بصره.

٣. فإذا استمر بذلك أعطاه الله عيناً غزيرة من البكاء من خشيته .. وهي لذة عالية سماوية يدخل بها الإنسان إلى عالم الملكوت، وطريقها: غض البصر .. فتصبح روحه روحاً سماوية لا روحاً أرضية !

ومن حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ..

"....ورجلٌ ذَكرَ اللهَ خاليًا ففاضت عيناهُ" [صحيح البخاري]

"عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله" [أخرجه الترمذي]

"لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكَى من خَشيَةِ اللهِ حتى يعودَ اللبَنُ في الضَّرع" [سنن الترمذي]

وقد ذكر العلماء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله" أن هذه هي مرتبة المجاهدين للنفس، التائبين من المعاصي.

٤. فإذا استمر في غضّ البصر فُتحت له عين البصيرة: تنزاح الغشاوة عن قلبه وبصره ويرى الأشياء على حقيقتها.

فيصبح له قلبٌ واعظ ..

وتؤزه الملائكة إلى الطاعة أزّاً، -بالنشاط والهمة وتبشيع المعصية في عينيه-.

٥. وإذا استمر في ذلك فتحت له أبواب السماء فأصبح مستجاب الدعوة .. وأتته الفرحة الأبدية.

فالنظرة نكتة سوداء، من ترك هذه النظرة أبدله الله تعالى إيماناً مع كل لحظة فتنة !

قيل ..

كلما غضّ المؤمن بصره زاد إيمانه، وزاد الله النور في قلبه (ليستقبل نور الله)، فينتشر النور من الفؤاد إلى الجوارح، (فيضبط لسانه وأفعاله) **فلا يتحدث إلا بطاعة،** ولا يمشي إلا لطاعة .

يغض قلبه عن كل ما سوى الله، فلا يرى إلا ما يرضي الله، ولا يسمع إلا ما يحبه الله، **ولا يفكر إلا فيما يريده الله.**

عندها يكون قد حاز الولاية فينطبق عليه الحديث القدسي: **"كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ"** [صحيح البخاري]

غض البصر يقذف النور في القلب فتتوالى النعم والبشارات.

انظر معي إلى آية غض البصر: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ **[النور٣٠]**، ثم انظر في الصفحة التي تقابلها تماماً في المصحف آية النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **[النور ٣٥]**، اجتمعت آية غض البصر مع آية النور مرة واحدة في المصحف كله **!**

فغض البصر نور ... وبهذا النور تكشف لك الحقائق ..

وإطلاق البصر ظلمة ... تغلق في وجهك باب رِقّة القلب وباب الخشية والطاعة.

قيل ..

وإذا استضاء القلب بنور الله .. أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم القلب (من إطلاق البصر) أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان.

والمؤمن اللَّبيب إذا أحس بأن حياته تكدّرت شيئاً أو مالت قليلاً، يجري فوراً لمحاسبة نفسه، ماذا صنع **!** وإن صدق مع الله سينوّر الله بصيرته ليفهم المغزى .. فابحث عن رسائل الله إليك.

وقد سأل جرير رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال **"اصرِف بصَرَك" [سنن أبي داوود].**

جواب مختصر بكلمتين **!**

وبصيغة الأمر **! .. اصرف بصرك**

وقال صلى الله عليه وسلم: **"لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرَةَ، فإنَّ لَكَ الأولى، ولَيسَتْ لَكَ الآخرَةُ" [أخرجه الترمذي].**

وإذا غضضت بصرك .. يجعل الله لك من أمرك فرقانًا بين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل ، وهذا الفرقان يُسمى :(نور البصيرة)....

وتأكد .. أن كل ذرة طاعة أو نية خير تضعها في قلبك سيشكرك عليها الشكور سبحانه وتعالى.

وتذكر ما قاله داود عليه السلام: **"إلهي مَن حزبك وحول عرشك ؟** فأوحى الله إليه : يا داود الغاضة أبصارهم، النقية قلوبهم، السليمة أكفهم، أولئك حزبي وحول عرشي".

وتذكر أن حزب الله: عباد أرواحهم سماوية تسبح تحت ظل عرش الرَّحْمَٰن، في جنات عدن، سقفها العرش.

"اللهم اجعلنا من حزبك وممّن هم حول عرشك"

" اللهم اجعلنا من الغاضّة أبصارهم السليمة قلوبهم"

****

الدعاء

(ولا يشقى مع الدعاء أحد)

هل أدلّك على أقصر الطرق للقرب من المولى عز وجل؟!

هل لك في أجمل عبادة وأيسرها وبها تحوز الدنيا والآخرة، وبها تحصل على كل ما تتمنى؟! هل تعرف كيف ستنال كل المقامات القلبية التي ذكرناها في هذا الكتاب !؟

إنه الدعاء .. وهو لُبّ العبادة.

قال صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة"، [أخرجه أبو داوود].

أليس لك أمنيات في الدنيا وأمنيات في الآخرة .. أليس عندك مخاوف أو هموم .. أمر يشغل بالك .. حاجة لك .. أو حاجات .. لا تطلبها من أحد ولا تشغل بالك بها.

اذهب بقلبك للقريب المجيب السميع والْهج بالدعاء وافتقر وتذلل في محراب عظمته .. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة ١٨٦] ..

إنه يخبرك بأنه قريب .. يخبرك بأنه سيستجيب .. ووضع شرطًا فقال سبحانه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.. استجب لأمره وآمن وصدَّق وعده .. ثم ادع الله بما شئت.

هذه وعود الله التي لا تُخلف.. فماذا تنتظر!؟

حاول أن تتذكر دعاءً أو شيئـًا تمنيته قبل سنوات .. والآن أنت تعيش الإجابة!

أنت تنسى الدعاء لكن الله لا ينسَى!

الآن اكتب كل أمنياتك واحتياجاتك ومخاوفك على ورقة وتعال معي نتعلم كيف يُحب ربنا أن ندعوه..

قال ابن القيم:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب بكُلّيته على المطلوب، وصادفه وقت من أوقات الإجابة وهي :

*الثلث الأخير من الليل.

*عند الأذان.

*بين الأذان والإقامة.

*دبر الصلوات المكتوبة **(قبل التسليم)**.

*عند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى الصلاة من ذلك اليوم.

*آخر ساعة بعد عصر الجمعة.

وصادف خشوعـًا في القلب وانكساراً بين يديّ الرب سبحانه، وذلاً له وتضرعـًا ورِقّة ..

واستقبل الداعي القِبلة ..

وكان على طهارة ..

ورفع يديه إلى الله ..

وبدأ بحمد الله والثناء عليه ..

ثم ثنى بالصلاة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ..

ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ..

ثم دخل على الله وألحّ عليه في المسألة ..

وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة ..

وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده .. وقدّم بين يدي دعائه صدقة .. فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد أبداً ! ولا سيّما إن صادف الأدعية التي أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم أنها مظنّة إجابة .. أو أنها متضمنة اسم الله الأعظم.

اسم الله الأعظم

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال "لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب" [رواه أبو داوود والترمذي]

عن أنس بن مالك قال :كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد **وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه "تدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده؛ لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى"**. [صححه الألباني]

هذا خيرٌ فاغتنم..

الدعاء يغير الأقدار ويمنع البلاء..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيَعْتلِجان إلى يوم القيامة" [صحيح الجامع].

يَعْتلِجان: يتصارعان.

لا شيء يَرد البلاء والقدر سوى الدعاء، فعندما تدعو ولا يُستجاب لك، فأنت لا تدري ماذا دفع الله عنك بهذا الدعاء من مصيبة أو ابتلاء.

وقال عليه الصلاة والسلام: "ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل دعوته في الدنيا، وإما أن تُدّخر له في الآخرة، وإما أن يُصرف عنه من الشر مثل ذلك" قالوا: يا رسول الله إذا نُكثر؟ قال: "الله أكثر" [رواه أحمد]

يقول ابن حجر: كل داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعِوضه.

والدعاء خير كله، وعبادة، وحسن عمل، وقد رُوي عن أبي هريرة أنه كان يقول: ما أخاف أُحرم الإجابة، ولكني أخاف أن أُحرم الدعاء.

يقول الشيخ ابن باز: الإلحاح وحسن الظن بالله وعدم اليأس، من أعظم أسباب الإجابة فعلى المرء أن يعلم أنه حكيم عليم، قد يُعجل الإجابة لحكمة، وقد يؤخرها لحكمة، وقد يُعطي السائل خيرا مما يسأل.

لا تستهِن بقوة الدعاء ..

توسّل إلى الله برحمته .. وابكِ، أو تباكَ .. وأنزِل الدمع من عينيك..

يا رب انظر لنا نظرة رحمة تعفُ بها عنا..

يا رب انظر لنا نظرة رحمة تعصمنا بها من المعاصي ..

يا رب انظر لنا نظرة رحمة ترفع بها درجاتنا ..

اللهم تداركنا بهدايتك .. تداركنا بعفوك .. تداركنا برحمتك .. تداركنا بلطفك واللهم اجعلنا ممن عزّ عليك فعصمته.

عند الكرب والهم والحزن اجلس بعد صلاة الفريضة.. أو صلِّ ركعتين حاجة وارفع يديك وادعُ بخشوع هذا الدعاء الجالب للفرج والطمأنينة بإذن الله :

حسبي الله..

توكلت على الله..

ولا حول لي ولا قوة إلا بك يا الله..

اغفر لنا يا الله..

وارفع ذلك كله بالصلاة والسلام على رسول الله..

ثم كرر واستشعر انشراح صدرك وزوال همّك.

اطلب من الله أن يهديك وأن يُصلح قلبك، أن يصطفيك من عباده المقربين، اطلب العفو ولا تستبعد الإجابة أبداً، اطلب منه سبحانه إصلاح الأبناء والأهل .. اطلب منه صدقة جارية وعلم يُنتفع به .. لا تستكثر أي دعاء .. لا عليك .. فقط اطلب .. فقط ألِح في الدعاء ..

قال تعالى : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[ابراهيم ٣٣]

سيؤتيك سؤلك عاجلاً أم آجلاً .. فلا تقنُط !

قال صلى الله عليه وسلم: **"من لم يسأل الله يغضب عليه"** [صحيح الترمذي].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر ٦٠].

متى أدعوا ربّي:

١. في السجود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أقربُ مَا يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهَو ساجدٌ"** [صحيح مسلم]،

وقال صلى الله عليه وسلم: **"فأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فيه الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، وأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ."**[صحيح مسلم]. (فقمنٌ: جدير وحريّ)

٢. دبر الصلاة- آخر كل صلاة قبل التسليم- : وهذا الوقت ترجى فيه الإجابة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما علمهم التشهد قال: **"ثم يتخير الدعاء أعجبه إليه فيدعوه"** [صحيح البخاري]

قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: "جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات" [أخرجه الترمذي]

٣. في جوف الليل (وسطه) .. وفي آخره ففيه ساعة لا يُرد فيها سائل.

٤. ما بين الأذان والإقامة، قال صلى الله عليه وسلم: **"الدُّعاءُ بين الأذانِ والإقامةِ مُستجابٌ، فادْعوا"**[رواه أحمد].

٥. حين يجلس الامام يوم الجمعة على المنبر للخطبة إلى أن تُقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة قال صلى الله عليه وسلم: **"أَلِظُّوا بيا ذا الجلالِ والإكرامِ" [رواه النسائي].**

فعليك أخي أن تلح بالدعاء؛ فالله يحب العبد اللحوح، وأن تحسن الظن بالله فهذه من أعظم أسباب الإجابة.

وتذكر أنك لن تصل إلى هذه المقامات التي ذكرناها إلا بكثرة الدعاء.

وما إن ترى أول إجابة لدعائك؛ حتى تزداد يقيناً ..

وهذه فيما يلي افتتاحية للدعاء منتقاة من الكتاب والسنة، فيها كل موجبات الإجابة .. افتتح بها أي دعاء تدعوه وفي أي وقت كان .. إن كنت جالساً أو ماشياً او في العمل أو في أي مكان وابشر بالإجابة بإذن الله :

*ابدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. **ويفضل الصلاة الابراهيمية.**

*ثم قل يا ذا الجلال والإكرام .. يا ذا الجلال والإكرام.. يا ذا الجلال والإكرام ..

*يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين..

*لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين..

***ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. اللهم اني تبرأت من حولي وقوتي وتدبيري إلى حولك وقوتك وتدبيرك .. وكرر ذلك في مواضع استجابة الدعاء ثم ادعُ لنفسك ولمن تحب بما تحب.**

.. واطلب وتمنى وازدد قرباً

أخي .. أختي ..

إن لكل حاجة دعاء، فابحثوا عن الدعاء الخاص بحاجتكم في القرآن والسنة وعظّموا دعواتكم ، ألِحّوا بالدعاء، وأحسنوا الظن بالله، واجعلوا الدعاء في الخلوات والصلوات مفتاحكم السري للوصول..فهذا هدفنا ومُبتغانا..

الوصول لرضا الله تعالى .. الوصول للدرجات العاليات ..

"اللهم نسألك دعاءً مستجاباً"

****

قال صلى الله عليه وسلم: "ينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا ، حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخرِ ، فيقولُ: من يدعوني فأستجيبُ له، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرُني فأغفرُ له" [صحيح البخاري]

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

[الزمر٩]

أمّن هو: من مثله **!** .. من بقدره **!**

لا يستوي من عرف وذاق.. مع من جهل وحُرم ..

رسم السياق القرآني الصورة الخارجية والصورة الداخلية النفسية لهذا القائم أثناء الليل ..

ففي وصفه للصورة الخارجية قال عنه: ساجداً وقائماً .

ثم انتقل الله سبحانه وتعالى ليخبرنا وليلفت قلوبنا للصورة الداخلية القلبية للعبد أثناء قيامه الليل ..

فقال :

١. يحذر الآخرة.. يحذر سوء الخاتمة، يحذر وحشة قبره، يحذر عذاب القبر، الصراط، الميزان ..

ثم وصف لنا صورة ثانية للصورة الداخلية القلبية.

٢. ويرجو رحمة ربه.. **من** الرجاء.. يرجو من ربه أن يعامله بالقبول ويعامله بالرحمة ويحسن خاتمته، ويجعل قبره روضة من رياض الجنة، فيطمع أن يكون مستظلاً تحت عرش الرَّحْمَٰن ينتظر دخول الجنة من غير حساب ولا عذاب، ثم يطمع أن تثقل موازينه فيمر على الصراط مروراً سريعًا ثم يدخل الجنة..

وهكذا المؤمن يعيش بين الخوف وبين الرجاء.

قيل: أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم.

قال الرائي: لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا **!**

قال الحافظ ابن رجب: ما عند المحبين ألذّ من أوقات الخلوة بمناجاة محبوبهم .. هو شفاء قلوبهم ونهاية مطالبهم.

أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" [صحيح مسلم]

قال ابن رجب: مدح الله المستيقظين بالليل لذِكره ودعائه واستغفاره ومناجاته فقال سبحانه وتعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة١٦]

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران١٧]

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات١٧-١٨].

قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة.

وروي عن ابن عباس أنه قال: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في سواد الليل ساجداً وقائماً.**[المحرر الوجيز]**

وقال العلامة السعدي: من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق: صلاة الليل الدالة على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان.

قال العلامة ابن القيم: تأمل كيف قابل(الله عز وجل) ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه النفس .. وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حتى يقوموا إلى صلاة الليل؛ بِقُرَّة الأعين في الجنة..

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٦-١٧]. وهذه الآية أيضاً تضمنت صورتين لمن يقوم بالليل:

صورة خارجية: تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وصورة داخلية توضح أحوال قلوبهم: يدعون ربهم خوفاً وطمعاً.

وقيام الليل من عمل عباد الرَّحْمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان٦٤]، وهو دأب الصالحين .. فسارع والْحق بهم قبل أن تفوتك القافلة..

- واعلم أن قرآن الليل مفعوله في القلب والنفس يختلف عن أي وقت آخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل٦]، فخير الأوقات لتدبر القرآن وتلاوته ليتحرك به قلبك هو جوف الليل.
- وكذلك الاستغفار في وقت السحر .. ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران ١٧] .

والسحر هو الثلث الأخير من الليل، وهو أن تقسم الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر أثلاثاً، فتحذف الثلثين الأولين منه، وما بقي هو الثلث، **فإذا قدرنا أن ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر تسع ساعات، فإذا مضى ست ساعات من الليل دخل الثلث الأخير من الليل، وهو آخر ثلاث ساعات .**

عندما قال يعقوب عليه السلام لأولاده: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف٩٨]، قيل إنه أخَّر الاستغفار لهم إلى وقت السحر ليكون أتمّ للاستغفار وأقرب للإجابة.

- وكذلك دعاء الثلث الأخير من الليل.

"قيلَ يا رسولَ اللهِ : أيُّ الدعاءِ أسمَعُ قال جَوفَ الليلِ الآخِرِ، ودُبُرَ الصلواتِ المكتوبات" [سنن الترمذي].

وهذه أربع عبادات فاضلات تتناوب عليها عند قيامك الليل :

١. الصلاة
٢. تلاوة القرآن بترتيل وتمهل وتدبر
٣. الدعاء
٤. الاستغفار

وتستطيع أن تفعلها كلها أثناء الصلاة، فتتلو القرآن داخل الصلاة، وتدعو وتستغفر داخل الصلاة في السجود وقبل التسليم وتستغفر ما بين السجدتين كما كان يفعل رسولنا الكريم عليه السلام.

استعن بالله وابدأ ...

وإذا استثقلت القيام بالليل في البداية سأقترح عليك طريقة سهلة بإذن الله:

ذكرنا أن أفضل الصلاة عند الله بعد الفريضة هي صلاة الليل.

وتعلم أن الليل يبدأ بعد العشاء .. إذن بعد أن تصلي سُنة العشاء عوّد نفسك على أن تصلي ركعتين قيام ثم اختم بالشفع والوتر فقط لا غير،

- واحرص على أن تقرأ في هاتين الركعتين ١٠ آيات لتُكتب من الذاكرين ..
- أو ١٠٠ آية مثل: (تبارك+النبأ+عبس) أو مما تيسر من سور القرآن، لتُكتب من القانتين ..

- وإذا أحببت أن تكون من المقنطرين الذين لهم أجور كقناطير الجبال .. فقُم الليل بألف آية، وهي ما يعادل (جزء تبارك+ جزء عمّ+ أي سورة من ١٠ آيات)

قال صلى الله عليه وسلم: "من قامَ بعشرِ آياتٍ لم يُكتَبْ مِنَ الغافلينَ، ومن قامَ بِمئةِ آيةٍ كتبَ منَ القانتينَ، ومن قامَ بألفِ آيةٍ كُتِبَ منَ المقنطِرينَ" [أخرجه أبو داوود]

الأمر واسع والخيار لك .. اختر ما تشاء اطلب المعونة من الله وابدأ من الليلة.

وإذا أردت المرتبة الرفيعة في التهجد، فعليك بالنهوض من الفراش قبل الفجر بساعة أو نصف ساعة على الأقل..

واستعن بتسبيحات قبل النوم، عملاً بوصية نبينا الكريم لابنته فاطمة عندما شكت ما تلقى في يديها من الرحى وأتته تطلب منه خادماً فلم تجده، فزارها في بيتها وقال لها ولزوجها علي رضي الله عنه: "ألا أدلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا ثلاثاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم" [صحيح البخاري]

فقالت فاطمة :فعملت بهذا فما وجدت تعباً بعد ذلك.

وقد مدح هذه الطريقة عدد من الدعاة والصالحين..

استعن بهذه التسبيحات قبل نومك وستقوم نشيطاً ولن تتعب في يومك بإذن الله، فهذه التسبيحات خيرٌ لك من خادم.

وبالنهاية.. كل عمل يعتاده الإنسان بالاستمرار والمجاهدة ..

ولا شيء مستحيل مع الدعاء .. فاطلب من ربك وجاهد نفسك ولا تحرمها الخير.. وادعُ الله أن يرزقك لذة القيام في جوف الليل.. فالإنسان هش ضعيف بدون دعاء وبدون خلوة مع الله ..

قبل نومك احتسب عند الله أن يجعلك ممن يبيتون لربهم سُجداً وقياماً.

وحتى أثناء تقلبك في الليل أو إذا صحوت لشرب الماء أو ما شابه، فاسمع ماذا قال صلى الله عليه وسلم: "مَن تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ" [صحيح البخاري].

وهذه والله بشارة عظيمة لنا ، فإذا دعوت وأنت تتقلب أثناء نومك بعد هذا الذكر .. فإن دعاءك مضمون الإجابة بإذن الله .. وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.

إذن احفظ معي هذا الذكر .. حتى تذكره حال تقلبك في الليل، ثم ادع بعده بما تشاء وانتظر الإجابة الأكيدة من المجيب القريب.

هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل :

- لم يكن عليه الصلاة والسلام ليدَعَ قيام الليل حضراً ولا سفراً.
- كان يقوم تارة إذا انتصف الليل .. وتارة قبله بقليل وتارة بعده بقليل ، يبدأ بركعتين خفيفتين.
- وعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين.

- وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال: **كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل مثنى، مثنى ويوتر بركعة.**
- وكان قيامه صلى الله عليه وسلم بالليل إحدى عشر ركعة .. أو ثلاث عشرة ركعة لا يزيد عليها.
- **وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أنه كان يقوم الليل بسبع وتسع.**

وانظر إلى طريقة سيدنا داود عليه الصلاة والسلام في القيام فقد كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه.

فإذا كان الليل مدته تسع ساعات مثلاً .. فلك أن تنام أربع ساعات ونصف (وهي نصف الليل) وتقوم **٣** ساعات (وهي ثلث الليل) ثم تنام ساعة ونصف قبل الفجر وهي (سدس الليل) لتستيقظ الفجر وتبدأ يومك نشيطاً.

وهذه الطريقة في النوم تضمن لك صحة في الجسد ونشاطاً، كما قال عليه السلام عن القيام: "مطردة للداء عن الجسد"، وتجعل نوراً في الوجه، وتورثك سكينة وطمأنينة إن تعودت عليها.

قيل: من قام في الليل ، حَسُن وجهه في النهار.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة، أن النوم أول الليل يعمل على تحفيز هرمون النمو وتجديد الخلايا، كما أن النوم في هذا الوقت، نومٌ مركز يكتفي الإنسان منه بساعات قليلة **تبقيه نشيطا إلى اليوم التالي، فلا يحتاج معه الجسم إلى النوم فترات طويلة كما يظن البعض..**

وهذا بحد ذاته إعجاز علمي في آيات التهجد والقيام في القرآن العظيم.

وأما ثمرات قيام الليل التي ستقطفها :

١. **حب الله عز وجل وفرحه بك.**

٢. **نيل العز والشرف .. قال جبريل عليه السلام: "شرف المؤمن قيام الليل"** [رواه الحاكم]

٣. **فيه نيل الغُرف في الفردوس الأعلى، قال نبينا الكريم: "إنَّ في الجنَّةِ غرفًا يُرى ظاهرُها من باطنِها وباطنُها من ظاهرِها أعدَّها اللهُ لمَنْ أطعم الطَّعامَ وأفشى السَّلامَ وصلَّى بالليلِ والنَّاسُ نيامٌ"** [حديث صحيح]

٤. وهي من علامات المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ **[الذاريات١٥ ١٦ ١٧].**

٥. تفَتَّح لهم أبواب الخيرات العِظام.

٦. فيه منهاة عن الإثم .. **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بقيام الليل فإنه دأْب الصالحين قبلكم، وقُربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد" [الجامع الصغير].**

الزم قيام الليل، وداوم عليه، وحافظ على أدائه، فهو سُنة الصالحين وعادتهم ممن كان في الأمم السابقة، وبه تتودد إلى الله وتنال الغرف، وفيه سكينة النفس وقوة الجسد.

"اللهم اجعلنا من أهل التهجد والقيام"

"اللهم اجعلنا ممن تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعونك رغبًا ورهبًا"

****

"في وسط الحر وفي وسط العرق، وبينما الشمس تقترب أكثر فأكثر من رؤوس الخلائق .. حتى تصبح المسافة بينها وبينهم ميل واحد فقط .. بعد أن كانت أكثر من ٩٠ مليون ميل !

والتعب والعطش الذي وصل إليه العباد لا يمكن تخيّله .. والمسألة ممتدّة إلى خمسين ألف سنة !

فجأة .. إذا بشخص يدخل بكل سهولة إلى ظل بارد لذيذ **وهو فَرح سعيد.. يُدعى إلى** الضيافة الإلهية .. تحت ظل العرش.. حوله أهل الإيمان .. **لا يشعر بطول الوقت،** لدرجة أن هذا اليوم الطويل ربما سيمر عليه كما بين الظهر والعصر، وليس خمسين ألف سنة كما يشعر باقي الناس !

ولكن من هو هذا الشخص ؟! وماذا فعل في الدنيا ؟!

حسنًا.. إنه شخص عادي وبسيط عاش في الدنيا .. لكنه إنسان ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه.. في لحظة إخلاص ووجل وخشية من الله .. فحقق هذا العبد هذان الشرطان -الخلوة +الخشية من الله- ، فاستحق ضيافة الرَّحْمٰن الكريم المنان **"مقتبس".**

جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

" ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" [صحيح البخاري].

ودموعه هذه دليل الإخلاص، لأنه كان في خلوة مع ربه وهذا أبعد شيء عن السمعة والرياء، كذلك كان خالي القلب لا يفكر في شيء غير الله.

وقد نال هذه المكانة بثلاث صفات:

١. "ذَكَر الله": وقد يكون الذكر بتلاوة وتدبر القرآن، وقد يكون بالدعاء أو التسبيح أو المناجاة وغيره مما يُذكّر بعظمة الله.
٢. "خاليا" :فهو خالي القلب مما سوى الله، وخالي المكان ليس عنده أحد، فهو مُخلِص القلب مُخلَص.
٣. "ففاضت عيناه": امتلأت عيناه بدموع الخشية والخوف من الله عز وجل.

خشية في خلوة

قال محمد بن واسع: إن الرجل ليقوم الليل عشرين سنة ويبكي من خشية الله، ما تعلم امرأته عن ذلك .. وفي هذا تحقيق الخلوة بينه وبين الله.

ولقد أدركت رجالاً كان أحدهم يقوم بالصف ودموعه على خديه ولا يحسّ به الذي بجانبه.

ولقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ يحبُّ العبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخفيَّ." [صحيح مسلم]

وكان السلف يعظمون ثواب البكاء من خشية الله ..

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-: "لأن أدمع من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار".

وقال كعب الأحبار: "والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب".

وكان ابن مسعود يمشي، فمرّ بالحدّادين وقد أخرجوا حديدا من النار، فقام ينظر إلى الحديد المُذاب ويبكي.

وقال الداراني: لكل شيء علم -علامة- وعلم الخذلان: ترك البكاء !

الخوف من عدم قبول العمل

قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون٦٠]، يخاف ألا يُتقبّل عمله، فهو يخاف أن يدخل هذا العمل شيء من الرياء أو يعقبه شيء من العجب والزهو .. فإن الإنسان بعد الطاعة قد يقع له شيء في نفسه، فيكون حال الذي لم يفعل هذه الطاعة أفضل من حاله!

وقال عليه الصلاة والسلام **في الخوف والخشية: "من خاف أدلجَ ومَن أدلج بلغ المنزلَ ألا إن سلعةَ اللهِ غاليةٌ ألا إن سلعةَ اللهِ الجنةُ" [أخرجه الترمذي].**

من خاف: أي من خاف من المسير ليلاً ، خوفا من أن يلحقه عدو أو قاطع طريق.

أدلج: أي سار وأسرع في أول الليل بجد وهمة لكي يصل بسرعة، خوفا من أن يلحقه أذى.

ومن أدلج بلغ المنزل: أي الذي يسير بنشاط وجدّ أول الليل فارّا من الخطر، يصل منزله حيث الأمن والأمان. بعكس من يسير في ظلام الليل بتراخي، فلعله يصل إليه العدو.

ثم بيّن أن سلعة الله غالية فهي جديرة بأن يعمل المؤمن ويجتهد ويصبر ويواصل المسير حتى يُدرك هذه السلعة العظيمة وهي الجنة.

معنى الحديث أن أساس هذا الجدّ في المسير هو الخوف.

جاء في الإحياء: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة إلى العلم والعمل..

قسوة القلب

قسوة القلب مانع من البكاء من خشية الله إذا صعُب عليك البكاء فاعلم أن هذا بسبب الران الذي سببته الذنوب؛ فابحث عن الذنوب في نفسك وتُب منها واستغفر لينجلي قلبك ويطهر ويلين وأكثِر من الاستغفار آلاف المرات.

وهذا الران يكون سببه أيضاً التوسع في المباحات **! مثل** كثرة الضحك .. كثرة النوم .. كثرة الطعام .. فهذا كله يُميت القلب.

ومما يُلين القلب :

١. الرحمة والعطاء لعباد الله الفقراء **والأيتام.**

"أَتَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رجلٌ يشكو قسوةَ قلبِه، قال أتحِبُّ أن يلينَ قلبُك وتُدرِكُ حاجتَك؟ ارحَمِ اليتيمَ وامسَحْ رأسَه وأطعِمه من طعامِك يلِنْ قلبُك وتُدرِكْ حاجتَك" [أخرجه الطبراني]

٢. الخلوة في أوقات إجابة الدعاء، وكل قلب يفتقر إلى خلوة مع ربه، **فالخلوة الصالحة هي خليلة الصالحين وأمنهم وأمانهم.**

٣. **الإنصات والتدبر لآيات القرآن الكريم وللمواعظ.. فكم من آية أو كلمة كانت سببا للانتقال بإنسان من الغفلة إلى الاستقامة، والشواهد على ذلك كثيرة.**

٤. **كثرة ذكر الله .. يقول ابن القيم، صدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر.**

القلب الوجِل، والعين كثيرة البكاء من الخشية مؤشر على الصلاح وقوة الإيمان، وأما قاسي القلب، فليبادر في إزالة صدأ قلبه بكثرة الذكر والدعاء والاستغفار والتضرع لله تعالى.

"اللهم أذهب عنا قسوة قلوبنا وارزقنا عينا بكّاءة من خشيتك"

****

مع أن النوايا والسرائر من أعمال القلوب وليست من أعمال الجوارح، إلا أن وضعها في هذا الموضع (في آخر العبوديات كلها) له أثر لطيف في إحياء همة القارئ الكريم على تجديد نواياه والانطلاق ببداية مشرقة لتطبيق ما سبق في هذا الكتاب.

- سر الصلاح: صلاح السر (صلاح النية).
- أصلحَ سريرته بينه وبين الله..
- فأصلح الله له دنياه وأعماله وخواتيمه وأصلح نيّته وسدده في أقواله وأفعاله..
- حتى ختم الله له بالباقيات الصالحات وبأحسن الخواتيم.

فانتبه على سريرتك؛ لأنه على النوايا تؤتى رفعة الدرجات..

وإذا مرت عليك خاطرة سيئة .. **ادفعها** حالاً وتخلص منها، أما إذا استرسلت معها واستقرت في قلبك فتأكد أنه سيتبعها الران! (طبقة تغطي القلب سببها الذنوب، تسبب لك الضيق بدون سبب ظاهر، وعلاجها الاستغفار)..

قال صلى الله عليه وسلم "إنه لَيُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مئة مرة" [سنن أبي داود].

إنه ليُغان: أي يغطى ويلبس على قلبي والمراد به: السهو في بعض الفترات؛ من الغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عنه أو غير ذلك مما يحجبه بالانشغال عن ذكر الله ومشاهدته ومراقبته، فيرى ذلك ذنباً

بالنسبة إلى المقام العليّ فيطلب عليه السلام من الله عز وجل المغفرة من هذا الأمر.

واعلم أنك عند البعث إنما ستبعث على نيتك .. وستحاسب على نيتك .. واقرأ معي هذا الحديث :

قال نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم : "مثلُ هذه الأُمَّةِ كمثلِ أربعةِ نفرٍ: رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا وعلمًا، فهو يعملُ بعلمِه في مالِه يُنفقُه في حقِّهِ .. ورجلٌ آتاه اللهُ علمًا ولم يُؤْتِه مالًا فهو يقولُ لو كان لي مثلَ هذا، عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ .. قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : فهما في الأجرِ سواءٌ.. ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا ولم يُؤْتِه علمًا، فهو يخبطُ في مالِه يُنفقُه في غيرِ حقِّهِ.. ورجلٌ لم يُؤْتِه اللهُ علمًا ولا مالًا فهو يقولُ لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ .. قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فهما في الوِزْرِ سواءٌ" [صحيح ابن ماجه].

هل وصلت الفكرة ؟ نيتك ستُجزى بها ..

إن كانت خيراً فأَجر هذا الخير، سيُكتب لك حتى وإن لم تفعله..

وإن كانت نيتك شراً فسيُكتب وزره عليك، حتى لو لم تفعله إن استقر في قلبك !.. ويعفو الله عمّن يشاء.

فاحذر من نواياك أشد الحذر !!

بشارة لنا جميعا: اعلم أنه حتى في النوايا هناك سباق وتفاضل عند الله!

عظِّم نيّتك واشمل فيها كل من حولك .. واشمل فيها جميع المسلمين والمسلمات .. نعم لا تستغرب .. فأنت تُتاجر مع مالك الكون .. الغني الواسع الكريم ذو الفضل العظيم.

ولهذا كانت النية تجارة العلماء .. فكن فطنًا ذو فراسة..

١. انوِ بعلمك هذا الذي تتعلمه نفْع نفسك وأهلك وأولادك، ونفع جميع المسلمين .. فلا تعلم ما يرتّب الله لك على هذه النية بعد سنوات .. ربما يضعك في مكان تستطيع أن تُعَلم فيه الخير للغير ..

أو يضعك في مكان بسيط تنشر منه العلم.. فتتفاجأ بأن الله قد تكّفل بنشر علمك هذا في أصقاع الأرض!

لا تستبعد ذلك فإن لك ربّـًا عظيما .. عنده فضل عظيم يؤتيه من يشاء .. وربما تكون أنت الذي يشاء، فيستخدمك ويقيمك على ثغرٍ بسيط لخدمة أمة بأكملها.

٢. انوِ أن تكون من أهل قيام الليل .. واسأل الله ولا تستبعد على رب المستحيل شيئًا.

٣. ادعُ "اللهم استعملني ولا تستبدلني" وانوِ بها نفع جميع المسلمين.

ولا تقل كيف سيستخدمني الله .. لا عليك اترك له سبحانه مهمة التنفيذ وتكفّل أنت بنيتك ودعائك واستمر، حتى ترى تياسير الرَّحْمُن قد أحاطت بك وبادرَتْك.. وكأن هذه التياسير كانت تنتظر نيّتك ودعاءك، لتأتي ماشية بقدميها إليك !

سبحان الله ! كم من عبدٍ لله وضعه الله في مكان عظيم .. دون أن يسبق من هذا العبد أي سعي يُذكر .. فتسمعه يقول : لم أكن أتوقع بحياتي أن أصل هذه المواصيل ! فتسأله كيف وصلت إذن ..

فيقول لك إنها تياسير الرَّحْمُن .. نعم هي تياسير الرَّحْمُن **تُحيط بمن صَلُحت سرائرهم.**

وللرحمن قانون كَوني .. هو قانون التدرّج

فالله لا يُعطي فجأة، وإنّما إذا أراد أمرا ينّفذه بالتدريج..

مع قدرته سبحانه جل جلاله على إنفاذ أمره في أقل من طرفة عين، بأمره الذي هو بين الكاف والنون.

انظر لقانون التدرج كيف طبّقه الله عز وجل على خلق السماوات والأرض في ستة أيام .. مع أنه قادر على أن يخلقها في لحظة، وهكذا هو قانون التدرج الإلهي، يُطِبّق على سائر تدابير الكون.

فما عليك الآن إلّا أن تعظِّم نيتك وتستمر في الدعاء بها ..

حتى تبدأ ترى تسهيلات ، بعدها تياسير لأمور لم تكن عندك بالحسبان، ولا تستعجل الإجابة، فعندما يرى الله في قلبك الخير الكافي لاستقبال العطايا، سيبدأ بالاستجابة.

"اللهم اهدنا وسددنا ووفقنا لأعظم الأعمال والأقوال والنيات والدعاء وأحبها إليك يا أكرم الأكرمين" .

****

"قبل أن تشق طريقك ساعيًا في رحلة حياتك .. أليس عليك أن تسير وأنت تحسن قراءة الدليل !؟" "مقتبس"

أحسن في قراءة رسالة خالق الأكوان إليك !

"ماذا تنتظر كي تبدأ في تدبر رسالته .. نوره .. دستوره الأبدي .. فرحة قلب المؤمنين .. قل لي بربك بمَ تترنّم ؟! أم بمَ تخلو وتتهجّد ! أم بمَ تشحذ قلبك ! أم كيف تمضي أيامك!"

" ألم تعلم أن أحقّ ما توهبُ له الأعمار كتاب الله" !! "مقتبس"

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾

أين أنت من خطاب ملك الملوك ؟ متى ستتفكر؟ متى ستتدبر ؟

إذا لم تبدأ بعد بمشروع فهم كتاب الله فابدأ من الآن ..

ابدأ مشروعك الخاص في تدبر القرآن الكريم :

١. ابدأ بطلب المعونة من الله تعالى .. يا معين يا معين يا معين بك أستعين .. أعنّي على تدبّر كتابك الكريم .. افتح علي فتوح العارفين فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا بك، افتح لنا في كتابك فتحًا مبينًا عظيمًا.

٢. ستختار تفسيرا للقرآن الكريم مناسبا لك، وسنقترح عليك عدة تفاسير:

أولاً: تفسير ((تيسير الكريم الرَّحْمٰن في تفسير كلام المنان)) لشيخنا عبد الرَّحْمٰن بن ناصر السعدي، يتميز هذا التفسير بسلاسة العبارة ووضوحها وسرعة الوصول إلى المقصود، حيث يفهم القارئ المغزى من الآيات بسهولة .

ثانياً : كتاب ((القرآن تدبر وعمل)) وهو تفسير شيق للمبتدئين وفيه اقتراحات لأفكار عملية تطبيقية للعمل بالقران الكريم .

ثالثاً: ((عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير)) للعلامة أحمد شاكر، وهذا النوع من التفاسير يسمى -التفسير بالمأثور- ، وهو من أنواع التفاسير التي لا غنى عنها لطالب العلم، **والتفسير بالمأثور معناه** تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه و بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأقوال الصحابة **والتابعين ..**

في هذا التفسير ((عمدة التفسير)) قام الشيخ أحمد شاكر باختصار تفسير القران العظيم لابن كثير، وقد حافظ عمدة التفسير على ميزات الأصل، وهي: تفسير القرآن بالقرآن، ثم التفسير بالسنة الصحيحة، ثم ذِكْرُ كثير من أقوال السلف في تفسير الآيات.

وامتاز بأنه حذف كل حديث ضعيف أو معلول، وحذف المكرر من أقوال الصحابة والتابعين اكتفاءً ببعضها، وحذف الأخبار الإسرائيلية وما أشبهها.

وهذا النوع من التفاسير هو من أهم التفاسير المتوفرة، فلا بد أن يعرف طالب القرآن أقوال النبي عليه الصلاة والسلام في الآيات وكذلك أقوال الصحابة والتابعين، قبل أن يبدأ بالتجول في أنواع التفاسير الأخرى.

٣. أحضِر أحد هذه التفاسير المقترحة -أو غيرها مما تختار- وأحضر مصحفك الكبير وقلم رصاص، وحبذا لو كان في مصحفك حاشية تتسع للكتابة، افتح كتاب التفسير -تجاوز المقدمة ان شئت- وابدأ بالقراءة من أي سورة تشاء.

بعضهم يرتاح لفكرة بدء مشروع تدبر القرآن من بداية المصحف ، والبعض يختار أن يبدأ من المنتصف (سورة الكهف).

وآخرون يبدأون التدبر من سور المفصل، أي الأجزاء الأخيرة من القرآن، - ويبدأ المفصل من سورة ق إلى آخر المصحف- .

وكله خير، أينما تبدأ ستجد الخير والبركة بإذن الله.

- والآن ، أثناء قراءتك في كتاب التفسير، تأمل المعاني الخفية للآيات، وتفكر بما وراء المصطلحات القرآنية، تأمل في آيات خلق الكون وفي معجزات الأنبياء، وهذا ما يسمى بتدبر القرآن، وهو التفكر والتمعّن وطرح الأسئلة على النفس عندما تقرأ القرآن .

فمثلا عندما تقرأ سورة الفاتحة ، اسأل نفسك :

لماذا بدأ الله سبحانه أول سورة في القرآن بالحمد؟ لماذا لم يبدأ بكلمة أخرى؟

ولماذا ذكر اسم الله الرحمن ثم اسمه الرحيم؟ لما لم يكتف بواحد منهما؟

وما هي المعاني العميقة خلف الآية: "إياك نعبد وإياك نستعين" ؟

وهكذا في سائر الآيات ...

- دَوِّن على حاشية مصحفك كل ما أفرَح قلبك وحلّق بروحك من حديث أو قول صحابي أو فائدة قرأتها في التفسير بجانب الآية خاصتها **حتى ترجع إليها لاحقا.**
- اجعل لك وردا ثابتا من التدبر، **صفحة واحدة يوميا أو ما يناسبك، بعد أسبوع ستكون قد تدبرت عدة صفحات ..**

حان وقت قطف الثمرة الان ..

- **ابدأ بقراءة الصفحات التي قمت بتدبرها سابقاً، اقرأها من مصحفك الذي كتبت عليه الفوائد والأفكار، اقرأ الآية وما كتبت** بجانبها من بشائر أو معاني نورت قلبك ..
- خذ وقتك بالتفكر في تلك المعاني العميقة.. **لا تستعجل فأنت الآن في عبادة يحبها الله، عبادة التفكر في كتاب الله.**

ابكِ إن شِئت واضحك إن أردت، فهذا هو المقصود من تدبر كتاب الله، أن تعيش معه وتهتدي بأنواره فيُصلح لك قلبك ويضبط بوصلة روحك.

ستشعر بمشاعر مختلطة .. ما أروعها ! ستشعر بها في جلستك اليومية مع القرآن الكريم **حتى تدمن هذه الجلسة .. حتى تدمن مشروعك الجديد .**

هذا هو التدبُّر بكل بساطة..

هذا ما سيجعلك من أهل الله وخاصته..

هذا ما ستسمى به صاحب القرآن..

هذا القرآن هو من سيصاحبك ويؤنسك في قبرك..

هذا ما سيطيب به عيشك ويرتفع به شأنك في السماوات قبل الأرض.

الاستمرار في التدبّر علامة اصطفائك عن سائر البشر .. انظر حولك كم من الناس اشتغل وأشغل نفسه بالقرآن الكريم وتدبّره؟!

إنه القليل النادر للأسف، إنها فرصتك أنت لتكون من القِلة القليلة المقرّبة، لتكون من أهل القرآن.

ملاحظة: لن تجد عبداً صالحاً أو وليّاً من أولياء الله الصالحين لم يشغل عمره بالقرآن، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: "ندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن" .. هذا وحياته كانت كلها قرآن وعلم وجهاد وتربية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ. قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ "[رواه مسلم]

عاهد نفسك وعاهد الله تعالى، أنك طالما بدأت، ووضعت قلبك على طريق أولياء الله، ونويت بصدق وعزيمة أن تكون من أولياءه سبحانه...

أن لا تتراجع وأن تثبت، وأن تبدأ في تطبيق كل ما تعلمته من القربات القلبية والقولية والعملية ، واستعن بالله سبحانه في كل لحظة وفي كل طاعة، ولا تنسَ أن تبرأ من حولك وقوتك إلى حوله وقوته سبحانه وتعالى، **والله المستعان.**

اللهم اجعلنا من أهل القرآن وأهلك وخاصتك العاملين به

اللهم نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد

****

فحث خطوك وانهل ليس ينفعنا في هذه الدار إلا صالح العمل

شتان بين مُجِدٍّ رام مغفرة وبين من ضيع الأوقات بالكسل

لا يستوي عند رب العرش مندفع إلى الفضال ومن يجبو على مهل

هذي الليالي شهود في تسارعها أن الحياة بنا تمضي على عجل

ومن يريد جنان الخلد منزله لا بد لا بد أن يرقى عن الزلل

وبعد أن تعرفنا على صفات أولياء الله وأحبابه.. وعلى عباداتهم..
وعرفنا أحوال قلوبهم ..والأفكار في دواخلهم .. وكيف أمضوا أوقاتهم وأيامهم.. سنكمل مشوارنا معهم لما بعد رحيلهم من هذا الكوكب الأرضي، إلى عالم البرزخ الخفي ..
ثم إلى البعث والحساب انتهاءً بالحياة الأبدية السرمدية في جنان الفردوس عند ربهم فرحين منعمين.

تمضي الحياة مسرعة ومعظم أهلها في غفلة ..
قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الانبياء١]
أقوام يأتون وآخرون يرحلون .. أرحامٌ تدفع .. وأرضٌ تبلع .. مَثَلُ الناس كالموج .. تنتهي الموجة الأولى لتلحق بها الأخرى وهكذا..
وسيأتي اليوم الذي ينتهي فيه الوجود الإنساني كله .. تُطفئ نجوم الليل ويقوم الناس بين يدي الله الواحد القهار.
قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [ابراهيم ٤٩]

قال أحد العارفين الحكماء في الموت:

أيا عبدُكم يراك الله عاصيـــــــا ... حريصا على الدنيا وللموت ناسيـــا

فنسيت لقاء الله واللَحد والثرى ... ويوما عبوسا تشيب فيه النواصيـا

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التــقى ... تجرد عُريانا ولو كان كاسيـــــــا

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلهـــــــا ... لكان رسول الله حيًّا وباقيـــــــا

ولكنهـــا تفنى ويفنى نعيمهـــــــا ... تبقى الذنوب والمعاصي كما هي

الموت مصيبة ..

وأول دواهي ومصائب الموت ساعة الاحتضار، وما بها من آلام ونزعات، وما يصحبها من غرغرة وسكرات لا يستطيع المحتضر من شدتها أن يتأوه يصبح اللِّسان كالجبل.

الداهية الثانية شدة الحسرة والندامة على شدة الغفلة، وحب الدنيا ! .. عندها تتضح الحقيقة من الوهم..

والداهية الثالثة أن الموت نهاية الحياة، يُغلق عليه باب العمل ويفتح عليه باب الحساب.

في كتابنا هذا سوف نقتصر على رحلة العبد الصالح إلى الدار الأخرة، بعد إنهائه رحلة الحياة الدنيا.. رحلة السعادة الأبدية من لحظة خروج أرواح عباد الله الصالحين حتى وقوفهم بين يدي الله سبحانه وتعالى.. يتلذذون بلقائه والنظر إلى وجهه الكريم.

رحلة أولياء الله الصالحين

رحلة السعادة

وتبدأ من أول لحظة ينقطع فيها العبد التقي عن الدار الدنيا، منتقلاً من دار العمل .. إلى الدار الأخرة .. دار الجزاء.

فيبعث الله له ملائكة الرحمة.. وسميت ملائكة الرحمة لتنزّلها على العبد بالرحمات في هذه اللحظات المصيرية .. تأتي له بكفن من الجنة وحنوط من عطرِ الجنة .. فتعامله الملائكة كأنه يوم عرسه ..

بدايةً.. تبادره الملائكة بالسلام والترحاب .. فعندما يسمع منهم نطقهم بالسلام يطمئن قلبه إلى حسن خاتمته فلا يفزع ولا يوجل .. وهذا يكون قبل قبض الرُّوح.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل٣٢]

وقال سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الاحزاب٤٤]

وفوق هذا تتنزل هذه الملائكة بكلمات.. بأمر من الله تعالى .. بقولها للعبد وهو في سكرات الموت:

لا تخف .. لا تحزن .. أبشِر بالجنة .. الله وليك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت٣٠]

وكل هذا قبل خروج الروح .. انظر لرحمة الله .. لم يرضَ لعبده الخوف .. وأمّنه في الدنيا وقبل قبض روحه؛ لكي يستبشر بما هو مقبل عليه ويطمئن لموقف الموت .. فيبعث له الله عز وجل موكبًا من الملائكة يجلسون منه على مد البصر .. لكي يزفوه إلى السماء .. ما هذا الإعزاز وما هذا الإكرام الذي خصّ به الرَّحْمٰن الكريم عباده الصالحين!

لم يرضَ لهم أن ينتقلوا من حال الحياة إلى موقف الموت إلّا وهم راضون .. فرحون .. أرضاهم الله في أشد وأصعب المواقف .. كما أرضوه في حياتهم وأطاعوه سبحانه.

هذه هي الرحمة .. هذا هو لطف الله وكرمه ووده وإحسانه .. لن يترك عبده وهو في أشد حاجته إليه .. لن يخذله !

ساعة خروج روح عبده الصالح

فإذا حانت ساعة خروج الروح نادته الملائكة بكامل الرحمة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[الفجر٢٧-٣٠].

اخرجي إلى روح وريحان وربٍّ راضٍ غير غضبان.

كما رضيتِ في الدنيا بالقرآن وأوامر الله .. ورضيتِ بالله ربـًا وإلهـًا معبوداً .. سنرضيكِ اليوم بدخول الجنان.

لم يهن أمر الله عليهم فلم يهونوا عليه سبحانه.

فتخرج الروح طوعـًا كما تنزل القطرة من فم السِّقَاء .. وبعد أن نزلت الملائكة وأحضرت لهذا العبد كفنـًا وحنوطـًا (عطرا من الجنة) خاصـًا له، توضع روحه في ذلك الكفن وتحنط من ذلك الحنوط .. وهو مرتاح مطمئن لما هو مقبل عليه .. مستبشرٌ من رؤيته للرحمات والبشارات .. وهو بكامل عقله ومعرفته وعلمه وثقافته لم يتغير عليه شيء،

وتبدأ رحلة من نوع آخر.. رحلته من العالم الأرضي إلى عالم السماوات الخفيّ.

تصعد الروح من ذلك الجسد الطيب إلى السماء .. فيُزف إلى السماوات، سماءً تلوَ الأخرى .. من كل سماء تزفّه الملائكة المقربون.. فتثني عليه ملائكة

كل سماء بأحب أسمائه إليه حتى تصل به إلى السماء السابعة وهناك .... تنتظره البشارة الكبرى :**"اكتبوا كتاب عبدي في عليين"** [صحيح الجامع]

تخيل نفسك في ذلك المكان الجليل في السماء السابعة .. هذه العبارة .. هذه الجملة وحدها تضمن لمن يسمعها مستقبلاً برزخياً منعماً!! فتتلاشى من قلبه كل أفكاره عن القبر .. وعذابه ..

إنها بشارة مطلقة أن تسمع أمر الله لملائكته أن يضعوا كتابك في عليين .. وعليين من العلو .. أعمالك أنت، مجاهدتك لنفسك من قبل في حياتك، وسهر الليالي على كتاب الله، وطلب العلم، والقيام .. وتقديم تعبك على راحتك وتقديم سهرك على نومك .. من أجل الله..

ستنساه كله عندما تسمع هذه الجملة..

اكتبوا كتاب عبدي في عليين ..

عن البراء بن عازب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا، وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ ، معهُمْ كفنٌ من أَكْفَانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتى يَجلِسَ عندَ رأسِه فيَقولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلى مغْفِرةٍ من اللهِ ورِضْوَانٍ، فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ ، فيَأْخذُها ، فإذا أَخَذَها ، لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَيْنٍ، حتى يَأْخُذُوها فيَجْعَلُوهَا في ذلكَ الكَفَنِ وفي ذلكَ الحَنُوطِ ، فيَخْرُجُ منها كأَطيَبِ نَفْخَةِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ على وجْهِ الأرضِ، فيَصْعَدُونَ بِها فلا يمُرُّونَ بها

على مَلَكٍ من الملائِكَةِ، إلَّا قالُوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فيقولُونَ : فُلَانُ بنُ فُلَانٍ بأَحْسَنِ أسمائِه التي كانُوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنْيَا – حتى ينْتَهُوا بها إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحون له فَيُفْتَحُ له ، فيُشَيِّعُهُ من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السماءِ التِي تلِيها ، حتى يُنتَهَي إلى السماءِ السابِعةِ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : اكْتُبُوا كِتابَ عبدِي في علِّيِّينَ ، وأَعِيدُوا عَبدِي إلى الأرضِ ، فإِنِّي مِنها خَلَقتُهم، وفِيها أُعِيدُهُم، ومِنها أُخْرِجُهم تارةً أُخْرَى...." الحديث. [صحيح الجامع]

ما هذا الكرم يا الله .. ما هي المفاجآت التي خبأتها لنا!!؟ ما الذي حضَّرته لنا من كرامات وقرة أعين!

ارحم ضعفنا وتقصيرنا يا رب فنحن لم نقدم لأنفسنا إلا القليل ..

لحظة الإكرام ستأتي .. ستبدأ بملاقاة وجهك الكريم .. فتلقّانا يا الله برحمتك وبشاراتك وبإحسانك وبرك وكرمك.

علامات حسن الخاتمة

حسن الخاتمة هو أن يختم الله للعبد بعمل صالح قبل الموت .. وهو يصلي ..أو وهو يحج بيت الله .. أو يموت وهو صائم.. أو غيرها من الأعمال التي ترضي الله تعالى .. وإن كان على فراش المرض، إن مات على التوحيد فقد حسُن ختامه .. فحسن الختام أن تموت على "لا إله إلا الله".

كان عامر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير إذا صلى رفع يديه قائلاً: "اللهم إني اسألك ميتة حسنة، فقال أبناؤه: وما هي الميتة الحسنة؟ قال: أن يتوفاني ربي وأنا ساجد" فقام وصلى فقبض الله تعالى روحه وهو ساجد.

رحم الله الشافعي إذ قال :

إن لله عبادا فطنـــــا تركوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علمـــوا أنها ليست لحي وطنـــا

جعلوها لُجَّة واتخـــذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وفي الموت رؤية:

فلن يموت العبد حتى يرى مصيره إلى الجنة أو إلى النار .. ولا تخرج روح عبد المؤمن حتى يُبشَّر ...

وفي الموت فتنة:

فإنه لن يخرج على لسانه إلا ما حواه قلبه في أيام حياته.

***العلامات المبشرة لحسن الخاتمة:**

١. نطق الشهادة عند الموت .. قال صلى الله عليه وسلم:**"من كان آخرُ كلامهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دخل الجنَّةَ" [اخرجه ابو داوود]**

٢. الموت برشح الجبين، المؤمن يموت بعرق الجبين

٣. الموت ليلة الجمعة أو نهارها

٤. الشهادة في ساحة القتال

٥. الموت بالطاعون أو بداء البطن شهادة (يشتكي بطنه)

٦. الموت بالغرق أو الهدم أو الحرق

٧. موت المرأة من نفاسها بسبب ولدها شهادة

٨. ومن البشارات: ثناء الناس على الميت خيراً، عن أَنسٍ قَالَ: **"مَرُّوا بجَنَازَةٍ، فأثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: وجَبَتْ ثُمَّ مَرُّوا بأُخْرَى فأثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وجَبَتْ فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنْه: ما وجَبَتْ؟ قَالَ: هذا أثْنَيْتُمْ عليه خَيْرًا، فَوَجَبَتْ له الجَنَّةُ، وهذا أثْنَيْتُمْ عليه شَرًّا، فَوَجَبَتْ له النَّارُ، أنتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ في الأرْضِ".**[متفقٌ عَلَيْهِ].

أيا مغروراً بطول الأمل يا مسروراً بسوء العمل كن من الموت على وجل فما تدري متى يهجم الأجل !

نماذج حسن الخاتمة

أمثلة لحسن الخاتمة:

١. عمرو بن الجموح

في غزوه أحد جاء هذا الصحابي وهو أعرج، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج للجهاد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد رفع الله عنك القتال، ليس على الأعرج حرج، فقال: يا رسول الله أريد أن أطأ الجنة بعرجتي هذه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بالشوق يملأ عيني هذا الصحابي، يحب لقاء الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهب يا عمرو لعل الله يرزقك الشهادة .. فذهب يجري وهو يقول وا شوقًا للجنة فوصل إلى ميدان المعركة ونظر إلى ورائه للمدينة وقال: اللهم لا ترجعني إليها، فهبّت ريح فاشتمها وقال: واهٍ لريح الجنة فمات شهيداً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **"فإن منهم من لو أقسم على الله لأبرّهُ منهم عمرو بن الجموح يخوض في الجنة بعرجته". [أخرجه ابن حبان]**

٢. الهمدانـــي

كان كثير السجود في دنياه حتى أكل التراب جبهته .. فلما مات رآه رجل من أهله في منامه وكأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدرّي، فقال له: ما هذا الأثر الذي أرى في وجهك؟ فقال: كساني ربي موضع السجود بأكل التراب له نوراً.

٣. رابعة العدوية

لما ماتت رابعة العدوية رأتها امرأة من صاحباتها وعليها حلل واستبرق، وسندس من الجنة، وكانت قد كُفنت بجبّة وخمار من صوف ،قالت: فقلت لها ما فعلت الجبة وخمار الصوف الذي كفّناك به؟! قالت: والله لقد نُزع عني وأُبدلت به هذا الذي ترين علي، وطُويت أكفاني ورُفعت في عليين، قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى! .. قلت: وبمَ وقد كنتِ عند الناس أكثر منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحتْ من الدنيا وأمستْ .. رضيَت عن الله .. فرضي الله عنها، قالت: فقلت لها مريني بأمر أتقرب به إلى الله تعالى.. قالت: عليك بكثرة ذكر الله تعالى.

وقال صاحب بشر بن الحارث:

بعد أن مات بشر الحارث رأيته في المنام هو وصاحبه الكرفي وهما جاثيان فقلت من أين ؟! فقالا من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى.

ورآه عاصم الحربي، قال: رأيت في المنام كأني دخلت درب هشام فلَقيني بشر بن الحارث، فقلت: من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عليين، قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركت الساعة أحمد بن حنبل، وعبد الوهاب الورّاق بين يدي الله عز وجل يأكلان، ويشربان، ويتنعمان، قلت: فأنت؟ قال: عَلِم الله قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه.

-وعالم البرزخ عالم خفيّ لا يعلم مكنونه إلا الله-

أما أسباب سوء الخاتمة والعياذ بالله:

١. ترك الصلاة.
٢. الجحود والشك والنفاق
٣. العجب والغرور بالنفس والأمن على الإيمان أن يسلب
٤. البدعة
٥. حب الدنيا والمعاصي
٦. الشرك بالله
٧. السحر
٨. موالاه المشركين

عقوق الوالدين .. أكل الربا .. أكل مال اليتيم.

الكذب، شهادة الزور، اليمين الكاذبة، وقذف المحصنات

المسترجلات من النساء.. الكبر والفخر..السرقة..عدم التنزه من البول..المنان الذي يمنّ على الناس بالأعطية..قطع الرحم..النمام..نشوز المرأة على زوجها..أذية المسلمين وشتمهم..ضعف الإيمان وإن كثُرَت الطاعة.. كَثرة المعاصي.

فجدير بمن الموت مصرعه..والقبر مصيره..والقيامة موعده..والحوض مورده..والصراط مروره..وجنة أو نار مقرّه!

أن لا يكون له فكر، إلا العمل لأجل هذه اللحظات!

والفيصل والحَكَم في هذا :

أن العبد يموت على ما عاش عليه..فمن غلبت عليه الطاعة مات على طاعة..ومن غلبت عليه المعصية مات على معصية.

حديث البراء المشهور

عن البراء بن عازب –رضي الله عنه– قال:

"خرَجْنا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ في جِنازةِ رجلٍ منَ الأنصارِ، فانتَهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلحَدْ، فجلسَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ وجَلَسنا حولَهُ كأنَّما على رؤوسنا الطَّيرُ، وفي يدِهِ عودٌ ينكتُ بِهِ في الأرضِ، فرفعَ رأسَهُ، فقالَ: استَعيذوا باللهِ من عذابِ القبرِ مرَّتينِ، أو ثلاثًا، زادَ في حديثِ جريرٍ هاهنا وقالَ: وإنَّهُ ليسمَعُ خفقَ نعالِهم إذا ولَّوا مدبرينَ، حينَ يقالُ لَهُ: يا هذا، مَن ربُّكَ وما دينُكَ ومن نبيُّكَ ؟

قال هنّاد: قالَ: ويأتيهِ ملَكانِ فيُجلِسانِهِ..

فيقولانِ لَهُ: مَن ربُّكَ ؟ فيقولُ: ربِّيَ اللهُ، فيقولانِ: ما دينُكَ ؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ، فيقولانِ لَهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم ؟ قالَ: فيقولُ: هوَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، فيقولانِ: وما يُدريكَ ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنتُ بِهِ وصدَّقتُ، زادَ في حديثِ جريرٍ، فذلِكَ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ يُثبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن قَد صدقَ عَبدي، فأفرِشوهُ منَ الجنَّةِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى الجنَّةِ، وألبسوهُ منَ الجنَّةِ قالَ: فيأتيهِ من رَوحِها وطيبِها قالَ: ويُفتَحُ لَهُ فيها مدَّ بصرِهِ، قالَ: وإنَّ الْكافرَ فذَكرَ موتَهُ قالَ: وتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، ويأتيهِ ملَكانِ فيُجلسانِهِ فيقولانِ: من ربُّكَ ؟ فيقولُ: هاه هاهْ، لا أدري، فيقولانِ لَهُ: ما دينُكَ؟ فيقولُ: هاهْ هاهْ، لا أدري، فيقولانِ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكُم ؟ فيقولُ: هاهْ هاهْ، لا أدري، فُينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن كذَبَ، فأفرشوهُ منَ النَّارِ، وألبِسوهُ منَ النَّارِ، وافتَحوا لَهُ بابًا إلى النَّارِ قالَ: فيأتيهِ من حرِّها وسمومِها قالَ: ويضيَّقُ عليْهِ

قبرُهُ حتَّى تختلِفَ فيهِ أضلاعُهُ زادَ في حديثِ جريرٍ قالَ: ثـمَّ يقيَّضُ لَـهُ أعمى أبْكَـمُ معَهُ مِرزبَةٌ من حديدٍ لو ضُرِبَ بِها جبلٌ لصارَ ترابًا قالَ: فيضربُهُ بِها ضـربةً يسـمَعُها ما بينَ المشرقِ والمغربِ إلَّا الثَّقلينِ فيَصيرُ ترابًا قالَ: ثمَّ تعادُ فيهِ الرُّوحُ " [صحيح ابي داوود]

نعيم القبر

لكل إنسان برزخ، سواء قُبِرَ أم لم يُقبر .. سواء أكلته السباع أو احترق فصار رماداً أو غرق .. فلابد أن يَذوق نعيم القبر أو عذابه.

فقدرةُ الله لا تحدّها حدود .. ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال عطاء الخراساني: أرحم ما يكون الرَّب بعبده إذا دخل في قبره وتفرق الناس عنه وأهله.

اللهمِّ كما كنت أنيساً لنا في دنيانا فكن لنا أنيساً في وحشة قبورنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الميِّتَ إذا وُضِع في قبرِه إنَّه يسمَعُ خَفْقَ نعالِهم حينَ يولُّونَ عنه فإنْ كان مؤمنًا كانتِ الصَّلاةُ عندَ رأسِه وكان الصِّيامُ عن يمينِه وكانتِ الزَّكاةُ عن شِمالِه وكان فعلُ الخيراتِ مِن الصَّدقةِ والصِّلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى النَّاسِ عندَ رِجْلَيْهِ فيؤتى مِن قِبَلِ رأسِه فتقولُ الصَّلاةُ: ما قِبَلي مدخلٌ ثمَّ يؤتى عن يمينِه فيقولُ الصِّيامُ: ما قِبَلي مدخلٌ ثمَّ يؤتى عن يسارِه فتقولُ الزَّكاةُ: ما قِبَلي مدخلٌ ثمَّ يؤتى مِن قِبَل رِجْليهِ فتقولُ فعلُ الخيراتِ مِن الصَّدقةِ والصِّلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى النَّاسِ: ما قِبَلي مدخلٌ فيُقالُ له: اجلِسْ فيجلِسُ..." الحديث... [صححه الحاكم]

وفي هذا بشرى لمن أخلص في عمله وصدقَ الله في قوله وفعله .. وأحسن نيته له في سره وجهره .. فهو الذي تكون أعماله حجه له ودافعه عنه.

"اللهم اجعلنا من أكثر عبادك صدقاً وإخلاصاً وإحساناً"

فصل فيما ينجي المؤمن من أهوال القبر

١. الرباط في سبيل الله

قال صلى الله عليه وسلم: "رِباطُ يَومٍ ولَيْلَةٍ خَيْرٌ مِن صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ، وإنْ ماتَ جَرَى عليه عَمَلُهُ الذي كانَ يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُهُ، وأَمِنَ الفَتّانَ" [صحيح مسلم]

وهو من بات يحرس ثغراً من ثغور المسلمين، ليأمنوا ويسلموا، لأن أعمال البر لا يُتمكن منها إلا بالسلامة من العدو.

٢. الشهادة في سبيل الله

قال صلى الله عليه وسلم: "للشهيدِ عندَ اللهِ ستُّ خصالٍ : يُغفرُ لهُ في أولِ دفعةٍ، ويَرى مقعدَهُ منَ الجنةِ، ويُجارُ منْ عذابِ القبرِ، ويأمنُ منَ الفزعِ الأكبرِ، ويُوضعُ على رأسِهِ تاجُ الوقارِ، الياقوتةُ منها خيرٌ منَ الدنيا وما فيها، ويُزوَّجُ اثنتينِ وسبعينَ زوجةً من الحورِ العينِ، ويُشفَّعُ في سبعينَ منْ أقاربِهِ" [سنن الترمذي]

فاللهمَّ اجعل حياتنا عبادة وخاتمتنا شهادة..

٣. سوره الملك

في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إنَّ سورةً منَ القرآنِ ثلاثونَ آيةً شفعَت لرجلٍ حتَّى غُفِرَ لَهُ وَهيَ سورةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ"** **[أخرجه الترمذي]**

عن ابن عباس –رضي الله عنه–أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديثٍ تفرح به؟ قال الرجل: بلى يا ابن عباس رحمك الله.قال: {تبارك الذي بيده الملك} احفظها

وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة، تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر.

كن فطناً كيّساً واحفظها اليوم واقرأها كل ليلة .. فهي استثمار عظيم يرجع عليك بنفع جليل.

٤. كثرة الاستعاذة من عذاب القبر.

ادعُ دُبر كل صلاة -قبل التسليم مباشرة- : اللهمَّ قِنا عذاب جهنم وعذاب القبر وقِنا فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

أسباب عذاب القبر

ونذكر هنا بعض أسباب عذاب القبر؛ لعلنا نجتنبها فنكون من الفائزين المفلحين إن شاء الله .. منها:

١. عدم التنزه من البول.

٢. المشي في النميمة.

وفي هذان السببان الحديث المشهور للمصطفى عليه الصلاة والسلام حينما مرَّ بقبر فقال: **"إنَّهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ ثمَّ قال: بلى أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنَّميمةِ وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستنزِهُ مِن بولِه" ثمَّ أخَذ عودًا فكسَره باثنينِ ثمَّ غرَز كلَّ واحدٍ منهما على قبرٍ ثمَّ قال: " لعلَّه يُخفَّفُ عنهما العذابُ ما لم ييبَسا"**

[أخرجه البخاري]

وقال صلى الله عليه وسلم "استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه "

[رواه الحاكم]

وقال ابن باز في هذا الحديث معناه: التحفظ من البول والحذر منه .. فإذا أراد أن يبول في محل لين أو في حجر من محل قضاء الحاجة؛ لئلا يطير إليه رشاش البول .. وإذا اصابه شيء منه طشش على فخذه أوطشش على قدمه، فليصبّ عليه الماء ويغسله عن ما أصابه ويجب العناية بهذا الأمر.

٣. الغُلول في النار، على قدر ما غل يعذب.

٤. الكذب، وهجر القران، والزنا، والربا، والنوم عن الصلاة.

وسنورد الحديث الطويل في عذاب القبر:

عن سمرة بن جندب قال: كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا صَلَّى صَلَاةً أقْبَلَ عَلَيْنَا بوَجْهِهِ فَقالَ: مَن رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قالَ: فإنْ رَأَى أحَدٌ قَصَّهَا، فيَقولُ: ما شَاءَ اللهُ فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقالَ: هلْ رَأَى أحَدٌ مِنكُم رُؤْيَا؟ قُلْنَا: لَا، قالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتَيَانِي فأخَذَا بيَدِي، فأخْرَجَانِي إلى الأرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، ورَجُلٌ قَائِمٌ، بيَدِهِ كَلُّوبٌ مِن حَدِيدٍ قالَ بَعْضُ أصْحَابِنَا عن مُوسَى: إنَّه يُدْخِلُ ذلكَ الكَلُّوبَ في شِدْقِهِ حتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذلكَ، ويَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هذا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلتُ: ما هذا؟ قالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حتَّى أتَيْنَا علَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ علَى قَفَاهُ ورَجُلٌ قَائِمٌ علَى رَأْسِهِ بفِهْرٍ - أوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ به رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فلا يَرْجِعُ إلى هذا حتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وعَادَ رَأْسُهُ كما هُوَ، فَعَادَ إلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلتُ: مَن هذا؟ قالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا إلى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أعْلَاهُ ضَيِّقٌ وأَسْفَلُهُ واسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حتَّى كَادَ أنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وفيهَا رِجَالٌ ونِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلتُ: مَن هذا؟ قالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حتَّى أتَيْنَا علَى نَهَرٍ مِن دَمٍ فيه رَجُلٌ قَائِمٌ علَى وسَطِ النَّهَرِ - قالَ يَزِيدُ، ووَهْبُ بنُ جَرِيرٍ: عن جَرِيرِ بنِ حَازِمٍ - وعلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فأقْبَلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهَرِ، فَإِذَا أرَادَ أنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بحَجَرٍ في فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّما جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى في فيه بحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كما كَانَ، فَقُلتُ: ما هذا؟ قالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حتَّى انْتَهَيْنَا إلى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وفي أصْلِهَا شيخٌ وصِبْيَانٌ، وإذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بي في الشَّجَرَةِ، وأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أرَ قَطُّ أحْسَنَ منها، فِيهَا رِجَالٌ

شُيُوخٌ وشَبَابٌ، ونِسَاءٌ، وصِبْيَانٌ، ثُمَّ أخْرَجَانِي منها فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ، فأدْخَلَانِي دَارًا هي أحْسَنُ وأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وشَبَابٌ، قُلتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فأخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قالَا: نَعَمْ، أمَّا الذي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عنْه حتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فيُصْنَعُ به إلى يَومِ القِيَامَةِ، والذي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عنْه باللَّيْلِ ولَمْ يَعْمَلْ فيه بالنَّهَارِ، يُفْعَلُ به إلى يَومِ القِيَامَةِ، والذي رَأَيْتَهُ في الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، والذي رَأَيْتَهُ في النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا، والشَّيْخُ في أصْلِ الشَّجَرَةِ إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ، والصِّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فأوْلَادُ النَّاسِ، والذي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، والدَّارُ الأُولَى الَّتي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وأَمَّا هذِه الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وأَنَا جِبْرِيلُ، وهذا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلتُ: دَعَانِي أدْخُلْ مَنْزِلِي، قالَا: إنَّه بَقِيَ لكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أتَيْتَ مَنْزِلَكَ" [صحيح البخاري]

أين تكون الأرواح في البرزخ

والأرواح متفاوتة بحسب منازلها :

١. أرواح الأنبياء : في أعلى عليين.

٢. أرواح الشهداء قال صلى الله عليه وسلم: **"أرواحهم في جوف طير خضر ..تَرِدُ أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش.... إلى آخر الحديث". [صحيح ابي داوود]**

٣. أرواح المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم: **"إنَّما نسمةُ المؤمنِ طائرٌ يَعلق في شجرِ الجنةِ، حتى يرجع إلى جسدِه يومَ يُبعث" [صحيح ابن ماجه].**

يعلق: يأكل ويرعى .

فبعد أن يقبض المؤمن وتصعد روحه إلى السماء وتلاقيه أرواح المؤمنين .. تعاد روحه إلى الأرض ويُسأل ثم يصعد بها لتنعم إلى أن يبعث الله العباد.

وقال بعض العلماء أن العبد المؤمن المقصود هنا هو الذي كَمُل إيمانه وصلُح عمله .. وأما المخلط عملاً صالحًا بآخر سيئًا؛ فانه يُجازى في قبره على قدر ذنوبه ثم يصير إلى النعيم وهو متروك إلى رحمة الله.

- **هل تتلاقى الأرواح؟!**

الأرواح قسمان:

١. قسم أرواح معذبة: في شغل عن التزاور والتلاقي بسبب ما هي فيه من العذاب.

٢. أما المنعمة المرسلة: فهي تتلاقى وتتزاور مع أرواح المؤمنين المنعمين.

وتكون الأرواح المنعمة كل مع رفيقها الذي هو على مثل عملها.

وأما تلاقي أرواح الأموات مع أرواح الأحياء من أهل الدنيا فهي ثابتة وتكون عندما يأتي الميت في المنام للحيّ فيكون ما يقوله حق.

كيف يتنعم المؤمن ويعذب الكافر في نفس الوقت ونفس المكان !!

قبر المؤمن المنعَّم بجانب قبر كافر معذَّب ؟!

قالوا: انظر إلى الرجلين نائمين في الفراش .. أحدهما يتنعم برؤيا ويستيقظ وأثر النعيم والسرور ظاهر في وجهه .. ويقول رأيت بشرى .. والذي بجواره يعذب وقد يُرى أثر العذاب والكدر عليه .. ويقول رأيت كابوسًا كاد أن يخنق أنفاسي!

رجلان في الفراش .. أحدهما في عذاب والآخر في نعيم .. وهذا من أمر الدنيا .. فما بالك بعالم البرزخ والقبور الذي لا يعلمه إلا الله !

وقال الألباني في صحيح الترغيب:

"إنَّ المؤمنَ إذا قُبِضَ أتتْه ملائكةُ الرحمةِ بحريرةٍ بيضاءَ، فيقولون اخرُجي إلى رَوْحِ اللهِ، فتخرج كأطيبِ ريحِ المسكِ حتى إنه لينا ولَه بعضُهم بعضًا، فيشمّونه، حتى يأتون به بابَ السماءِ، فيقولون: ما هذه الريحُ الطَّيبةُ التي جاءت من الأرض؟ ولا يأتون سماءً إلا قالوا مثلَ ذلك، حتى يأتون به أرواحَ المؤمنين، فلَهُم أشدُّ فرحًا من أهل الغائبِ بغائبِهم، فيقولون: ما فعل فلان، فيقولون: دَعوه حتى يستريحَ، فإنه كان في غمِّ الدنيا، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ فيقولون: ذُهِبَ به إلى أمِّه الهاويةِ. وأما الكافر، فتأتيه ملائكةُ العذابِ بمِسحٍ، فيقولون: اخرُجي إلى غضبِ اللهِ، فتخرج كأنتنِ ريحِ جيفةٍ، فيُذْهَبَ به إلى بابِ الأرضِ".

وأما استقرارهم .. فبحسب منازلهم عند الله، فمن كان من المقربين .. كانت منزلته أعلى من منزلة من كان من أصحاب اليمين .. لكن الأعلى ينزل إلى الأسفل، والأسفل لا يصعد إلى الأعلى .. فيجتمعون إذا شاء الله كما يجتمعون في الدنيا .. ويتزاورون مع تفاوت منازلهم .. فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها.

وأما روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ففي الرفيق الاعلى .. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء٦٩].. وهذه المعية ثابتة في الدنيا-بالاتباع- وفي البرزخ وفي دار الجزاء.

والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة.

- **أين يذهب أطفال المسلمين بعد موتهم**

أطفال المسلمين ينتظرون أهليهم يوم القيامة في الموقف، وقد رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء السابعة، حول سيدنا إبراهيم عليه السلام وفي كفالته.

كما ورد في الحديث الطويل، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

".... قال: قالا لي -الملكين-: انطلق، انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة مُعْتَمّة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهريِ الروضة رجلٌ طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط، قال: قلت لهما: ما هذا ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق ... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ" [صحيح البخاري].

يوم البعث

أجرى الله الكريم عادته بكرمه .. أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعِث عليه.

قال صلى الله عليه وسلم: "يُبْعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه"[رواه مسلم]

وأهوال يوم القيامة عظيمة:

أرض مُزلزلة ! وسماء مُنشقة .. وبحار متفجرة .. وشمس منطفئة .. ووحوش حشرت خائفة ذليلة !

وأنت خرجت من قبرك وسط هذه الأهوال .. عارٍ! حافٍ !

تخرج من قبرك على الصورة التي متَّ عليها!

والناس أحوال عند خروجهم:

فالعبد المؤمن يخرج من قبره ونوره يسعى بين يديه وبيمينه.

والعبد العاصي يخرج من قبره تحيط به ظلمات بعضها فوق بعض.

معك سائق يسوقك إلى أرض المحشر.

ومعك شهيد يشهد عليك،

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ **[ق٢١]**، فإن كنت تقياً؛ تأتيك ملائكة الرَّحْمُن ترافقك برحمة وطمأنينة .. كالضيف معززاً مكرماً.. تبشرك الملائكة بأن لا تخف ولا تحزن..وأما العُصاة فلهم ملائكة تسوقهم ضرباً **والعياذ بالله.**

تَخرج من قبرك راكباً إن كنت من الصالحين ..

وأمّا المقصرين المخلطين عملاً صالحًا بآخر سيئًا، يخرجون ماشين على أرجلهم ..

وأما العصاة فيمشون على وجوههم والعياذ بالله ..

قال صلى الله عليه وسلم: "يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى ثَلاثَةِ أَصْنافٍ: صِنْفٌ مُشاةً، وصِنْفٌ رُكْبانًا، وصِنْفٌ عَلى وُجُوهِهِمْ" [اخرجه أبو داوود]

و للعصاة المسلمين أحوال يوم القيامة:

الغافل: يخرج من قبره أعمى، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه ١٢٥-١٢٦]

مانع الزكاة: يمثل له بعد خروجه من قبره بثعبان أقرع يجري وراءه بصوت مرعب فظيع .. فيطوق عنقه ويقول له: أنا مالُك ! أنا كنزك !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ آتاه اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ ماله يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ (يَعْنِي شِدْقَيْهِ) ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [أخرجه البخاري]

مالِك الذهب والفضة تحول أمواله إلى صحائف من نار يُكوى بها .. واذا كان ماله إبل أو غنم .. تحشر معه يوم القيامة ..يخرج من قبره تنطحه بقرونها وتَطؤه بأظلافها حتى يقضي الله بين العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة!

آكل الربا: يخرج إن لم يتُب: كالمصروع الذي لبسه جان خنقه خنقًا وصرعه صرعًا .

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة ٢٧٥]

المتكبرون:

والكبر من أبغض المعاصي إلى الله!

قال صلى الله عليه وسلم: "يُحشَرُ المتكبِّرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ يغشاهم الذُّلُّ من كلِّ مكانٍ يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّمَ يُقالُ له: بُولَسُ تعلُوهم نارُ الأنيارِ يُسقَوْن من عُصارةِ أهلِ النَّارِ طِينةَ الخَبالِ" [صحيح الترمذي]

يطأهم الناس بأرجلهم والناس لا يشعرون بذلك .. ناهيك عن مُضيّع الصلاة، والسائل الغني الذي يسأل الناس وعنده ما يكفيه .. والنائحة التي لم تصبر على مصائب الدنيا .. والظالم .. وصاحب الطرب والغناء .. وذو الوجهين، والمغتاب، والنمام ..

ولكل من هؤلاء دليل من القرآن والسنة على أنهم سيُعذبون بما فعلوا .. ولا يسع المقام لذكر كل ذلك.

خروج الأتقياء من القبور

ما زلنا مع أهوال يوم القيامة أثناء البعث من القبور..

هناك صنف من خلق الله لا يفزعون إذا فزع الناس، فلا يخافون ولا يحزنون وقت الخوف والحزن .. و يُبشّرون عند الموت وفي القبر وعند البعث ..**هم عباد الله الأتقياء..**

أولئك هم أولياء الرَّحْمٰن أطاعوا الله بعد أن آمنوا به .. خوفًا منه واستعداداً لذلك اليوم .. **فكان جزاؤهم أن** يؤمّنهم الله..

عندما يخرجون من قبورهم تستقبلهم ملائكة الرَّحْمٰن.. تُهدئ من روعهم وتُطمئن قلوبهم .. قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الانبياء١٠٣]

عندما قرأ ثابت البناني الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[فصلت٣٠]، وقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه المَلَكان اللذان كانا معه في الدنيا .. فيقولان له لا تخف ولا تحزن ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[فصلت٣٠]، قال: فيؤمِّن الله خوفه.. ويقرّ عينه.

فما أعظمه **وما أرحمه مِن خالق!** يَفزع كل الناس يوم القيامة إلا المؤمن .. **فيكون ذلك اليوم عليه** يوم فرح وسرور لا قلق ولا عرق ولا نصب ولا تعب .. يخرج المؤمن التقي إلى أرض المحشر، والآية تصِف حاله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم٨]

كيف يخرج أهل الطاعة من قبورهم ؟!

حامل القرآن ووالداه:

حامل القرآن .. بمجرد خروجه من قبره .. يتلقاه القرآن فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول له: ما أعرفك .. فيقول القرآن: أنا الذي أظمأتك في الهواجر .. وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته .. فيُعطى المُلك في يمينه والخلد في شماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم تظله سوره البقرة وآل عمران إلى أن يدخل الجنة.

قال صلى الله عليه وسلم: "تَعلَّموا سُورةَ البقرةِ؛ فإنَّ أَخْذَها بَرَكةٌ، وتَرْكَها حَسْرةٌ، ولا يستطِيعُها البَطَلَةُ ثمَّ سكَت ساعةً، ثمَّ قال: تَعلَّموا سورةَ البقَرةِ وآلِ عِمْرانَ؛ فإنَّهما الزَّهْراوَانِ، يُظِلَّانِ صاحبَهما يومَ القيامةِ كأنَّهما غَمَامتانِ أو غَيَايَتانِ أو فِرْقَانِ مِن طَيْرٍ صوَافَّ" [رواه مسلم]

البطلة: أي السحرة.

ويكسى والداه حليتين (والدا حامل القران)، لا تقوم لهما الدنيا ويلبسان تاجًا من نور يسمى تاج الوقار .. ضوءه مثل ضوء الشمس! فيقولان: بمَ كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة.. فهو في صعود ما دام يقرأ هذّا كان أو ترتيلاً.

المُحرِم بالحج والعمرة:

فإن كان العبد محرم بالحج أو بالعمرة ومات ..

خرج من قبره يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

الشهيد:

يخرج من قبره وجرحه يسيل دمًا، ورائحة المسك تفوح من جسده.

المحافظ على الوضوء:

من كان يحسن الوضوء على المكاره في البرد القارص، يؤدي كل أركانه وسننه .. خرج من قبره ونورٌ يومئذ على جبهته ويديه ورجليه، يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العلامة.

قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِن أَيْلَةَ مِن عَدَنٍ لَهو أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِن عَدَدِ النُّجُومِ وإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عنْه، كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عن حَوْضِهِ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا يَومَئِذٍ؟ قالَ: نَعَمْ لَكُمْ سِيما ليسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِن أَثَرِ الوُضُوءِ" [صحيح مسلم]

قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ" [صحيح البخاري]

غُرّاً: أي بياض الوجه

ومحجّلين: هو بياض في أيدي وأرجل الخيل، والمقصود غسل ما فوق المرفقين والكعبين.

يطيل غرّته: أي يغسل أماكن الوضوء بغسل زائد على الواجب، وغايته استيعاب صفحة العنق مع مقدمات الرأس، واستيعاب العضدين والساقين.

الشيخ الصالح:

من شاب شيبة في الإسلام ،كانت له نوراً يوم القيامة.

الأوليـــاء:

أولياء الرَّحْمَٰن .. ينادي الله عليهم في أرض المحشر بعد خروجهم من قبورهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾[الزخرف٦٨-٦٩]

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾

[يونس٦٢-٦٣-٦٤]

السر في هذا الأمن وفي هذه البشارات؛ أن قلوبهم كانت عامرة بمخافة الله في الدنيا .. أقاموا ليلهم وأظمئوا نهارهم واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله .. وكان لسانُ حالِهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾ [الانسان١٠] .. فكانت النتيجة وكان الجزاء من الملك الكريم في يوم القيامة:

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾[الانسان١١].

من هم الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم في أرض المحشر يوم القيامة

ومن الناس من شدة بغض الله لهم، لا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .. وهم:

- الذين يأكلون أموال الناس بالباطل
- الذين يحلفون أيمانا على سلعة وهم كاذبون لكسب دنيوي:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[آل عمران٧٧]

- المنان: الذي يمنّ على الناس بعطيته.
- الشيخ الزاني.
- الفقير المستكبر.
- العاق لوالديه.
- المرأة المتشبهة بالرجال.
- الديوث.
- من أتى امرأته في دبرها.
- من جر ثوبه خيلاء.

قال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ لا يدخلون الجنةَ ولا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ والدَيه، والمرأةُ المسترجلةُ المتشبهةُ بالرجالِ، والديوثُ، وثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ بوالدَيه، والمدمنُ الخمرَ، والمنانُ بما أعطى" [اخرجه النسائي واحمد].

أرض المحشر وصفتها

ينطلق الناس إلى أرض المحشر حفاةً عراةً، وأول من يُكسى ويُلبس بعد خروجه من قبره: سيدنا إبراهيم عليه السلام.

قال صلى الله عليه وسلم: "..... أَلَا وإنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى، يَومَ القِيَامَةِ إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ ..." [أخرجه البخاري ومسلم]

كيف تكون أرض المحشر؟ وما هي صفتها ؟!

أرض المحشر تختلف تماماً عن أرض الدنيا، الزمان غير الزمان .. والمكان غير المكان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [ابراهيم٤٨] .. وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاً دقيقاً بليغاً: قال صلى الله عليه وسلم: **"يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْرَاء، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ، ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ".[أخرجه البخاري]**

بيضاء شديدة البياض .. مستويه كالفضة ليس عليها أشجار أو جبال أو أبنية ! يحشر جميع الخلائق لا يَتخلف ملِك .. ولا متكبر .. ولا حاكم ولا زعيم ولا طاغية !

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم٩٣-٩٦]

ينطلق البشر كلهم خلف الداعي لا يلتفتون ولا يتخلفون .. صامتين مستسلمين خاشعين .. صمت يزلزل القلوب .. سكون عظمة وهيبة وإجلال لله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه١٠٨]

قال صلى الله عليه وسلم: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنفٌ مُشَاةٌ، وَصِنفٌ رُكبَانٌ، وَصِنفٌ عَلَى وُجُوهِهِم"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِم؟ وَقَالَ عَفَّانُ: يَمْشُونَ قَال: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُم عَلَى أَرْجُلِهِم قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُم عَلَى وُجُوهِهِم، أَمَا إِنَّهُم يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِم كُلَّ حَدَبٍ وَشَوكٍ" [أخرجه أحمد] .**قال قتادة بلى وعزة ربنا !**

أُناس يمشون على أقدامهم ... وأناس يركبون ..

من هؤلاء الذين يركبون في هذا اليوم العصيب !؟

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم٨٥]

الأتقياء والمتّقون .. فكيف يُحشر المتقون ؟!

تأتي الملائكة لأهل التّقى .. فتقدم لهم ركائب –عربات– من دواب الآخرة .. عليها سُرر من ذهب.. فيركب المتقون وتنطلق بهم إلى أرض المحشر، حتى إنهم لا يمشون في هذا اليوم العصيب! ،﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرَّحْمٰن٦٠] وعند وصولهم إلى أرض المحشر لا يقفون فيها مع سائر الخلائق تحت الشمس الحارقة بل يستظلون تحت ظل عرش الرحمن.

الأتقياء ..

والتقوى هي أن يُطاع الله سبحانه فلا يُعصى .. وأن يُذكر فلا يُنسى .. وأن يُشكر فلا يُكفر.

فإذا وصلت الخلائق كلها إلى أرض المحشر، تنزلت الملائكة ضِعف أهل الأرض!! وتحيط الملائكة بأهل الأرض من كل جانب.

هول الموقف..

إذا ما وصل الناس إلى أرض المحشر.. ازداد الهم والكرب والغم.. أول ما يفاجئ الناس عند الوصول إلى أرض المحشر.. رؤيتهم الشمس فوق رؤوسهم .. حرارة فوق الرؤوس .. خناق يخنق الأنفاس في مكان واحد وعلى أرض واحدة !

قال صلى الله عليه وسلم: " تُدْنَى الشَّمْسُ يَومَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حتَّى تَكُونَ منهمْ كَمِقْدارِ مِيلٍ -قالَ سُلَيْمُ بنُ عامِرٍ: فَواللهِ ما أدْرِي ما يَعْنِي بالمِيلِ؛ أمَسافَةَ الأرْضِ، أمِ المِيلَ الذي تُكْتَحَلُ به العَيْنُ؟ قالَ: فَيَكونُ النَّاسُ علَى قَدْرِ أعْمالِهِمْ في العَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى كَعْبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يَكونُ إلى حَقْوَيْهِ، ومِنْهُمْ مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجامًا. قالَ: وأَشارَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيَدِهِ إلى فِيهِ." [صحيح مسلم]

الكافر والفاجر يلجمه العرق .. ثم تقع الغبرة على وجهه فيسودّ وجهه .. والمؤمن يُظَل بِظلّال الرَّحْمٰن، ثم يقع النورعلى وجهه فيستنير؛ فيضحك ويستبشر.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس٣٨-٤٢]

ويقـول عـز وجـل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة٢٢-٢٥]

منهم من يصل العرق إلى قدميه .. ومنهم إلى ساقيه .. ومنهم إلى سُرّته .. ومنهم إلى صدره .. ومنهم إلى أنصاف أذنيه .. ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً!

ومنهم من يُظَل في ظل عرش الله .. يوم لا ظل إلا ظلّه، والفيصل بينهم العمل؛ هو الفيصل بين الرحمة أو العذاب ..بين النور والظلام ..

وجميعهم في صعيد واحد وموقف واحد .. بجانب بعضهم ..

إنسان مسرور .. وآخر حزين مهموم

أحدهم تحرق الشمس رأسه .. وآخر يُظل في ظل عرش الله

أحدهم في نور تام يسعى بين يديه .. والآخر في ظلام دامس

أحدهم راكب على النجائب -عربات الجنان- وآخر يمشي بجانبه على وجهه .. وفي هذا الموقف الرهيب .. يزداد الهمّ على العصاة بقدوم جهنم باتجاه الخلائق إلى أرض المحشر.

تأتي جهنم إلى أرض المحشر !

قال صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملَكٍ يجرُّونها" [صحيح مسلم]

فإذا أقبلت جهنم، وأحاطت بالخلائق .. تنظر النار إلى الناس .. فتزفر وتزمجر غضباً منها لغضب الله جل وعلا !

فإذا سمعت الخلائق كلها جهنم ورأت جهنم .. عند ذلك تجثو جميع الأمم وتركع على الركب من الخوف والذلّ .. تجثو الأمم على الركب!

يومها ترمي الأم الحنون بطفلها من غير وعي، بلا أمومة .. في هذا الموقف الكل يقول نفسي نفسي .. حتى الأنبياء ! ازدحام شديد يخنق الانفاس .. والشمس تكاد تصهر الرؤوس .. والكل يتدافع .. والسؤال همس .. والكلام خافت .. وجلال الحي القيوم يعمر المكان بالهيبة !

تحت ظل العرش

في هذه اللحظات ينادي الحق جل جلاله على مجموعة من الخلق في أرض المحشر .. أن يتقدموا ليظلهم بظله .. يوم لا ظل إلّا ظله..

من هم أولئك ؟ومن هم هؤلاء السعداء؟

اللذين لا تضرّهم الشمس ولا يؤذيهم عرق؟

يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تعالى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ." [صحيح البخاري]

١. إمام عادل أي حاكم عادل بين الناس، فإن جزاءه أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

"عن أبو ذر الغفاري قال: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قالَ: فَضَرَبَ بيَدِهِ علَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّهَا أَمَانَةُ، وإنَّهَا يَومَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَن أَخَذَهَا بحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فِيه" [أخرجه مسلم]

والإمام هو: الرجل على زوجته وأولاده.. والمرأة على أولادها.. والرئيس في إدارته في الشركات أو في المدارس .. وكل رئيس على مرؤوسيه.

٢. شاب نشأ في عباده الله.

تجري دماء الشهوة في عروقه في سن المراهقة أو في سن الفتوّة .. ولكن خوفه من الله عصمه عن معصية الله .. حارب شهواته وحارب نفسه الأمّارة بالسوء .. لذلك كوفئ هذا الشاب أو الشابة .. الطائع التقي النقي الذي نشأ منذ صغره يخاف الله؛ بالاستظلال تحت ظل عرش الرحمن.

٣. رجل قلبه معلق بالمساجد.

كلما خرج من المسجد لعمله أو إلى بيته .. اشتاق قلبه إلى الرجوع للمسجد مرة أخرى، والمرأة قلبها معلق في الصلاة وتشتاق بعد الصلاة إلى صلاة أخرى.

٤. رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

"الحب في الله"

قال صلى الله عليه وسلم: "مَن أحبَّ للهِ وأبغضَ للهِ ، وأعطى للهِ ومنعَ للهِ فقدِ استكْملَ الإيمانَ" [اخرجه ابو داوود]

ألا وإن أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وفي الحديث القدسي: "إنَّ اللهَ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي؟ اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي" [أخرجه مسلم].

٥. رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله.

تذَكَّر الله وراقبه .. فأعرض عن الزنا خوفًا من الله.

٦. رجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

صدقة السِّر التي لا يعلمها إلا الله.

٧. رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه.

خلى بنفسه وقام من اللَّيل وجلس يصلي أو يذكر الله .. فلما امتلأ قلبه بالهيبة من الله وبعظمة الله، فاضت عيناه بالدموع .. خوفًا منه وهيبةً له سبحانه.

قال صلى الله عليه وسلم: "عَينانِ لا تمَسَّهما النَّارُ : عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل اللهِ" [سنن الترمذي]

قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الاسراء ١٠٩]

فضائل الأعمال التي تنفع المؤمن في ذلك اليوم العظيم

ما الذي ينجي من أهوال يوم القيامة ؟!

١. **تفريج الكُرَب** عن مسلم أو مساعدة محتاج .. والسعي في حوائج الناس .. قال صلى الله عليه وسلم: **"مَن نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة"** [رواه مسلم]

٢. **إنظار المعسِر** والتجاوز عنه والتيسير عليه.

قال صلى الله عليه وسلم : "مَن سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عنْه" [رواه مسلم]

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يستُرُ عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستَرَه الله يوم القيامة" [رواه مسلم]

٣. **الكاظمون الغيظ**

إذا ما سمعوا أذى من قريب أو صديق أو جار كظموا بصمت .. كرم الله صاحب هذا الخلق بجنة عرضها السماوات والأرض .. وكان في الآخرة ممن يدعوهم الله في أرض المحشر على رؤوس الخلائق .. ثمَّ بعد أن يدعوه يخيره في أي الحور شاء ..

قال صلى الله عليه وسلم: "مَن كَظَمَ غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنْفِذَه دعاه اللهُ عزَّ وجلَّ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرَه اللهُ مِن الحُورِ ما شاءَ" [حسنه الالباني]

٤. نفع الناس .. قال صلى الله عليه وسلم: "أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ ، تكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ؛ أَحَبُّ إليَّ من أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه؛ ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له؛ ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ" [الالباني]

٥. العمل الصالح في العشر من ذي الحجة.. قال صلى الله عليه وسلم: "ما من أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيَّامِ العشرِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجل خرج بنفسِه ومالِه فلم يرجِعْ من ذلك بشيءٍ" [أخرجه البخاري]

أبعد هذا !!؟

أبعد هذه الخيارات الواسعة من المُنجيات .. تترك في صحيفتك متسعًا للسيئات .. املأ صحيفتك منذ الآن بهذه الأعمال الفاضلة .. ووطّن نفسك عليها..جاهد نفسك لتكثر منها فهي المنقذة !

انظر ما أجمل هذه الأعمال .. ولاحظ أنها جميعًا تدور في فلك الإحسان والمعروف مع الناس .. هل جربت من قبل وساعدت قريبًا لك؟ أو قضيت حاجه لأخيك؟ تذكر كيف كان شعورك .. هل أحسست براحة نفسية وسعادة غمرت روحك!؟ .. إن من ثمرات هذه الأعمال العظيمة أنها تُضفي لحياتك عمقًا من نوع آخر، وهناك شعور بالسكينة لا يعرفه من لم يجرب المشي بقضاء حاجات الناس.

ولا تنسَ أن هذه صفات المحسنين التي ذكرناها في مقام الإحسان .. فهم محسنون بعباداتهم ومحسنون مع خلق الله .. نفعهم متعدٍ وليس لازمًا على أنفسهم .. ليس وارداً في قاموسهم حب الأنا .. ولا يفضلون نفع أنفسهم على نفع غيرهم.

إنهم فُطناء وأذكياء ، يحرصون على تعميم خيرهم لأكبر عدد ممكن .. يبثّون الخير والنفع على أكبر عدد من الناس.

ومِن أبخل الناس: من قَصر نفعه على نفسه وشحّ بخيره عن الغير! ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [القلم١٢]

أبعد هذا كله .. تترك نفسك كما أنت، نفعك لنفسك فقط !

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه لا يقبل أن يأكل طعاماً لوحده أبداً .. فكان كلّما حضر الطعام نادى المساكين ليأكلوا معه، فإن لم يجد .. نادى على أي أحد ليشاركه الطعام .. فإن لم يجيبوه إلى الطعام أبى أن يأكل !..

وكان السلف يسعدون إذا جاءهم سائل يطلب شيئاً .. ويرون هذا رزقاً من الله .. وكان أحدهم إذا جاء جاره أو قريبه يطلب شيئاً، حزن في نفسه؛ لأنه ترك قريبه أو جاره حتى احتاج إلى السؤال .. وكان الأولى أن يبادر هو في قضاء حاجاته كي لا يلجئه إلى الحاجة!

تفقد من حولك.. ولا تنسَ أنك تعمل لنفسك لتنجو من عذاب يوم عظيم.

وبعدما تدنو الشمس من الرؤوس .. ويُظَلُّ خلقٌ من الخلق في ظلِّ عرش الله، سعيدون لا شمس عليهم ولا حرّ، بل هم ينتظرون في الظل .. ظل العرش.. ينتظرون أن يفرغ الله من حساب الخلق، وهم في برد وسلام .. ومنهم من يكون على منابر من نور، آمنوا وقرت أعينهم بما منّ الله عليهم .. بينما باقي الخلق في الكربات والعرق يغرقون !

وفي هذه الأثناء إذ بجهنم تأتي إلى أرض المحشر! لها سبعون ألف زمام .. يجرها من كل زمام سبعون ألف ملك .. تأتي وسط الخلائق.. يرونها ويبكون خوفا لرؤيتها ..

ينظرون إليها من طرف خفي .. **وبلغ الرعب أقصاه** .. والصالحون يقولون نفسي نفسي!

تزفر جهنم ثلاث زفرات...

في أول زفرة: يتساقط الخلق على الركب.

وفي الثانية: يزداد الرعب والخوف.

وفي الثالثة: تخضع وتذل الوجوه وتشخص الأبصار.

ينظرون من طرف خفي.. **عند خروج عنق من النار ينظر ويسمع ويتكلم .. قال صلى الله عليه وسلم: "يَخرجُ عُنقٌ من النَّارِ يومَ القِيامةِ له عينانِ تُبصِرانِ ،**

وأُذُنانِ تَسْمَعانِ ، ولِسانٌ يَنطِقُ ، يقولُ : إنِّي وُكِلْتُ بثلاثةٍ : بِمن جعل مع اللهِ إلهًا آخرَ، وبكلِّ جَبَّارٍ عنِيدٍ ، وبِالمُصوِّرِينَ" [أخرجه الترمذي]

وهنا اشتد الموقف من شدة الهول والرعب ..

عندها تطير قلوب المؤمنين شوقا إلى الجنة، وتطير قلوب المجرمين فزعًا من النار.

شربة من حوض الرسول عليه السلام

وبعدما يتمكن العطش من الناس ويشتد الكرب بهم، حتى يطلبوا بدء الحساب، تتجلى رحمة الله يومئذٍ بالمؤمنين، إذ لن يتركهم عطشى يعانون الظمأ، بل أكرمهم بحياض يشربون منها وجعل لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام حوضًا يشرب منه هو وأتباعه.

كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لكلِّ نبيٍّ حوضًا، وإنَّهم يتباهَوْنَ أيُّهم أكثرُ وارِدَةً، وإنِّي أرجو أنْ أكونَ أكثرَهم واردَةً" [صحيح الجامع].

وهنا يرفع الله عز وجل لنبيه حوضه المورود، فيكون حوض النبي عليه السلام في عرصَات القيامة إذا اشتد قيامهم لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة.

وقال صلى الله عليه وسلم في وصف الحوض: "حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فمَن شَرِبَ منه فلا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا." [أخرجه البخاري].

الورِق: اللبن شديد البياض.

كيزانه: الأكواب الموضوعة على جانبيه.

ومن شرب من ذلك الحوض فقد ارتوى ريّـًا أبـديـًا، فينقطع عنه الظمأ إلى الأبد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... و أنا فَرَطٌ لَكُمْ على الحَوْضِ، فَتَرِدُونَ عليَّ مَعًا و أَشْتَاتًا، يقولُ جَمِيعًا، فَأَعْرِفُكُمْ بِأَسْمائِكُمْ و بِسِيماكُمْ كما يَعْرِفُ الرجلُ الغَرِيبَةَ مِنَ الإِبِلِ في إِبِلِه، فَيُذْهَبُ بِكُمْ ذاتَ الشِّمالِ، و أُناشِدُ فيكُمْ ربَّ العالمينَ، فَأَقُولُ: يا رَبِّ أُمَّتي، فيقالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بعدَكَ، إِنَّهُمْ كَانُوا يَمْشُونَ القَهْقَرَى بعدَكَ.. فلا أَعْرِفَنَّ أحدَكُمْ يأتي يومَ القيامةِ يَحْمِلُ شَاةً لها ثُغَاءٌ يُنادِي: يا محمد، يا محمدُ! فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لكَ مِنَ اللهِ شيئًا، قد بَلَّغْتُ، و لا أَعْرِفَنَّ أحدَكُمْ يومَ القيامةِ يَحْمِلُ قِشْعًا من أَدَمٍ يُنادِي: يا محمدُ، يا محمدُ! فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لكَ مِنَ اللهِ شيئًا، قد بَلَّغْتُ" [صححه الألباني]

ثم يقوم الناس مقاماً طويلاً .. فيقولون اذهبوا إلى الأنبياء ليشفعوا لنا عند ربنا ليقضي بيننا في الحساب .. إذ كل هذا الوقت كانوا ينتظرون صامتين ..ينتظرون بدء الحساب، وينتظرون قدوم الله الملك جل جلاله ليحاسبهم .. يا لهول ذلك اليوم !

فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم قول عيسى عليه السلام في الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة١١٨]

رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي، وبكى. فقال الله عز وجل: "يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسَلْه ما يبكيك؟" فأتاه جبريل -عليه الصلاة والسلام- فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم .. فقال الله عز وجل: "يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك" [صحيح مسلم]

يا حبيبي يا رسول الله..

وبعد حديث الشفاعة الطويل الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لن يشفع للبشرية أحد إلا سيد البشر سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول عليه السلام يومئذ: أنا لها، أنا لها .. واللهِ لا يعرف قدر رسولَ الله إلا الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القِيامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لذلكَ، وقالَ ابنُ عُبَيْدٍ: فيُلْهَمُونَ لذلكَ، فيَقولونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنا علَى رَبِّنا حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا، قالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولونَ: أنْتَ آدَمُ، أبو الخَلْقِ، خَلَقَكَ اللهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّكَ حتَّى يُرِيحَنا مِن مَكانِنا هذا، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها، ولَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أوَّلَ رَسولٍ بَعَثَهُ اللهُ، قالَ: فَيَأْتُونَ نُوحًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها، ولَكِنِ ائْتُوا إبْراهِيمَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها، ولَكِنِ ائْتُوا مُوسَى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، الذي كَلَّمَهُ اللهُ وأَعْطاهُ التَّوْراةَ، قالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السَّلامُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أصابَ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْها، ولَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وكَلِمَتَهُ، فيَقولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، ولَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَبْدًا قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَيَأْتُونِي فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فإذا أنا رَأَيْتُهُ وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللهُ، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأحْمَدُ رَبِّي بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي..." الحديث. [أخرجه مسلم]

يخرّ سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم تحت عرش الرَّحْمٰن ساجداً يُثني على الله بمحامد لم يَفتح الله بها على أحد من قبله ولا من بعده .. فينادي عليه ربه ويقول:

"يا محمد سَلْ تُعطه واشفع تشفع" .. فتكون شفاعته العظمى .. وشفاعته هنا أن يأتي الله عز وجل لتعجيل فصل الخطاب والحساب والجزاء.

قال صلى الله عليه وسلم: "أنا فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ، فمَن ورَدَهُ شَرِبَ منه، ومَن شَرِبَ منه لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ. قالَ أبو حازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمانُ بنُ أبِي عَيَّاشٍ وأنا أُحَدِّثُهُمْ هذا، فقالَ: هَكَذا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: وأنا أشْهَدُ علَى أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فيه قالَ: إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن بَدَّلَ بَعْدِي" [صحيح البخاري]

فلا نجاة إلا باتّباع سنة ونهج الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

طرق تؤدي إلى رفقة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى

وإن أردت مجالسة نبينا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام ومرافقته ومصاحبته في الجنة؛ فاستمسك بما يلي:

١. محبة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، **"المَرْءُ مع مَن أحَبَّ"** [صحيح البخاري]

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه قال: أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: "ما أعْدَدْتَ لَهَا؟ " قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا مِن كَثِيرِ صَلَاةٍ ولَا صَوْمٍ ولَا صَدَقَةٍ، ولَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ ورَسولَهُ، قالَ: "أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ" قال أنس : فما فرحنا بشيء، فَرَحَنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنت مع من أحببت"، قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحُبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. [صحيح البخاري]

٢. من يطِع الله والرسول يَنَل رفقته.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء٦٩].

قصة ثوبان:

ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شديدَ الحبِّ له قليلَ الصَّبرِ عَنْهُ، فأتاه ذاتَ يومٍ وقد تغيَّر لونه ونحل جسمه، يُعرَفُ في وجهِهِ الحزن، فقال له رسول الله: «يَا ثَوْبَانُ مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ»؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضُرٍّ ولا وجعٍ غير أنِّي إذا لم أَرَكْ اشتقتُ إليك واستوحشتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاك، ثم ذكرتُ الآخرة وأخافُ ألَّا أراكَ هناك؛ لأنِّي أعرف أنَّك تُرْفَعُ مع النبيين، وأنِّي وإنْ دخلتُ الجنَّة كنتُ في منزلةٍ أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنَّة فذاك أحرى ألَّا أراك أبدًا .. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء٦٩]. ذكر المُفسِّرون في أسباب النزول أنها نزلت في ثوبان.

إذن فَلْنزاحمهم على أبواب الجنة برفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتفا على كتف، بِحبهم الصادق لرسول الله ولرفقته في الجنة وشوقهم إلى ذلك.

٣. كفالة اليتيم

قال صلى الله عليه وسلم: "أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين ، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني : السَّبَّابةَ والوسطى" [صحيح الترمذي]

كفاله اليتيم بالعطف والمال و المساعدة، والساعي على الأرملة والمسكين .. كالمجاهد في سبيل الله.

٤. كثرة السجود وكثرة صلوات النوافل.

ربيعة ابن كعب ذي الثلاث عشرة سنة، كان يخدم رسول الله وينام على بابه، فكان بعدها لا يُرى إلا ساجداً أو قائماً، من شدة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم عند باب النبي والسلام ليصب عليه الماء للوضوء، يقرب له نعليه، وكان يجلس على باب النبي صلى الله عليه وسلم من شده المحبة حتى تغلبه عينيه فينام ..

وفي الحديث الذي رواه ربيعة بن كعب الأسلمي قال: "كُنْتُ أبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأتَيْتُهُ بوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ فَقالَ لِي: سَلْ فَقُلتُ: أسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: أوْ غيرَ ذلكَ قُلتُ: هو ذَاكَ. قالَ: فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُود" [صحيح مسلم]

أي النوافل:

صلاة الضحى ..**ركعتي الشروق**.. قيام الليل .. سجود شكر.. سجدة التلاوة.. **ركعتي توبة** .

ومن طرق مرافقة الحبيب عليه الصلاة والسلام:

٥. تربية البنات والإحسان إليهن وتربيتهن تربية إيمانية والإنفاق عليهن.

قال صلى الله عليه وسلم: "مَن عالَ ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا حتَّى يَبِنَّ ، أو يَموتَ عنهنَّ ؛ كنتُ أنا وهوَ في الجنَّةِ كَهاتينِ وأشار بأُصْبُعيهِ السبَّابةَ والتي تلِيهَا" [أخرجه مسلم]

٦. التلبية مع الأذان، وسؤال الوسيلة للرسول صلى الله عليه وسلم، وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧. الصلاة على النبي، قال صلى الله عليه وسلم: "أَولَى النَّاسِ بي يومَ القيامَةِ أكثَرُهم علَيَّ صلاةً" [أخرجه الترمذي]

وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن ذُكرتُ عِندَه فَنَسِيَ الصَّلاةَ عليَ؛ خَطِئَ طَريقَ الجنَّةِ" [صححه الالباني].

٨. حسن الخُلق.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ؟ قال: المتكَبِّرونَ". [صحيح الترمذي]

٩. الدعاء يجعلك رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.

"اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد في أعلى جنة الخلد"

من أسعد الناس بشفاعة المصطفى؟

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ من أسعدُ النَّاسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أن لا يسألُني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولى منكَ لِما رأيتُ من حرصِك على الحديثِ أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال لا إلهَ إلَّا اللهُ خالصًا من نفسِهِ" [صحيح البخاري].

أي موقن قلبه بها .. وينطقها لسانه بصدق وإخلاص .. وقال صلى الله عليه وسلم عن شفاعته: **"فهي نائلةٌ من مات منهم لا يشركُ باللهِ شيئًا" [صحيح البخاري]**

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ" [صحيح البخاري]

فلا إله الا الله شجرة جذورها حب الله وتعظيمه .. وساقها اليقين والرضا والقبول .. وأوراقها: الأنقياء .. ومن غير الماء والضوء لا تعيش .. فالعلم لها ضوء والصدق لها ماء.

هكذا يكون الصدق في نطق لا إله إلّا الله لكي تبقى حية في القلب ..

وبعد أن **يجيء الرَّب** جلَّ في علاه لفصل الخطاب .. تُشرق الأرض بنور ربها .. **ويوضع الكتاب** ويؤتى بالنبيين والشهداء وتُنصب الموازين للمحكمة الإلهية.

وكما ذكر في حديث الصور:

"إن الله ينادي العباد يوم القيامة فيقول: إني قد أنصتّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا ..أرى أعمالكم وأسمع أقوالكم فأنصتوا لي .. فإنما هي أعمالكم وصحفكم تُقرأ عليكم .. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه" [ابن كثير/ البداية والنهاية]

أول من ينادي الله عليه في هذا اليوم العظيم هو سيدنا آدم عليه السلام.

"يقولُ اللهُ تعالى: يا آدَمُ، فيَقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ في يَدَيْكَ، فيَقولُ: أخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قالَ: وما بَعْثُ النَّارِ؟ قالَ: مِن كُلِّ ألْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وتَرَى النَّاسَ سُكارَى وما هُمْ بسُكارَى، ولَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وأيُّنا ذلكَ الواحِدُ؟ قالَ: أبْشِرُوا؛ فإنَّ مِنكُم رَجُلًا، ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألْفًا. ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنِّي أرْجُو أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنا، فقالَ: أرْجُو أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنا، فقالَ: أرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنا، فقالَ: ما أنتُمْ في النَّاسِ إلَّا كالشَّعَرَةِ السَّوْداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبْيَضَ. أوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أسْوَدَ"

[أخرجه البخاري]

ثم بعد النداء على آدم تبدأ الأسئلة ..

فيسأل الله الرسل واحداً واحداً: هل بلغتم الرسالة !؟

ويسأل الله الأمم : ماذا أجبتم المرسلين !؟

فإذا جاء دور نبي الله نوح، ينادي الله تعالى: يا نوح فيقول نوح لبيك اللهم وسعديك .. فيقول الله تبارك وتعالى هل بلغت قومك؟ فيقول نوح نعم يا رب، فيقول الحق جل جلاله: يا قوم نوح هل بلغكم نوح وهو الذي لبث فيكم تسعمائة وخمسون سنة ؟ فيقولون: لا، ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد! فيقول جل جلاله: من يشهد لك يا نوح؟ فيقول نوح عليه السلام: محمد وأمته.

فتشهدون أنه قد بلّغ، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة١٤٣]

يقول الله لأمتي: من الذي أخبركم أن نوح قد بلغ قومه ؟

فتقول الأمة الميمونة لربها: جاءنا نبينا محمد عليه السلام، فأخبرنا أن الرسل جميعا قد بلغوا أقوامهم فصدقناه.

ومن ثمَّ بعد الأنبياء، يبدأ عرض الخلائق على الله لحسابهم .. وقد أخذ كل إنسان كتابه ونظر فيه وينتظر كل منهم لحظة النداء عليه .. وكل صغير وكبير مُستطر.

من هي أول أمة سيحاسبها الله؟

ينادي الله عز وجل: أين محمد وأمته ؟

قال صلى الله عليه وسلم: "نحْنُ الْآخِرُونَ السابقون يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[أخرجه البخاري]

ما أكرمك يا الله**!!**

من بين سبعين أمة تقف للحساب .. أول أمة يرحمها الله من ذل الوقوف في أرض المحشر ليكرمها الله هي أمتُنا.

لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

قال صلى الله عليه وسلم: "إن أمتي يُدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل" [أخرجه البخاري]

وينادي منادٍ على الخليقة واحداً تلوَ الآخر من أمة محمد .. يا فلان ابن فلان أقبِل للعرض على الله .. والملائكة لا تخطئ بعبدٍ فهي منذ خَلقها الله تُميز كل عبد لا تخطئه.. **فيذهب العبد معه كتابه ليقرأه أمام الله.**

أما إننا الآن في نعمة، نستطيع أن نبدل صحائفنا بالتوبة وبالعمل الصالح، إن الحسنات يذهبن السيئات لا تزال هناك فرصة في تبديل وتعديل الصحف.

تأخذ الملائكة هذا العبد على رؤوس الأشهاد، والخلائق كلها تنظر إليه .. فعند سماع العبد اسمه ينادى يقرع قلبه قرعاً .. فيقف بين يدي الحق جل جلاله ليكلّمه ليس بينه وبين الله ترجمان.

قال صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ" [اخرجه البخاري]

تخيل! ستقف ذاك اليوم وحدك مع الله .. سيكلمك وستسمع صوته، ماذا ستقول له إن عاتبك .. هل ستتكلم؟ أم ستصمت؟ أم ستبكي؟ أم ستتوسل إليه برحمته وبكرمه ؟ أم ستتوسل إليه بضعفك وفقرك وذُلّك إليه؟ ما هي ردة الفعل التي ستصدر منك حينما يختلي الله بك لينظر في كتابك.. ما هي الفكرة التي تخطر ببالك الآن !

إذا كنت من أوليائه فهنيئا لك مقابلة الله جل جلاله لك ..

الله الذي لطالما أَنِست به في دنياك .. الله الذي لطالما استجاب دعائك .. وأنقذك في المواقف الصعبة وحماك من الدنيا وزينتها، وعصمك من المعاصي حبًا منه ولطفًا بك.

هو الله الذي ناجيته وعبدته عمراً كاملاً دون أن تسمعه أوتراه .. ها هي اللَّحظة الحاسمة آتية، ماذا سيكون في قلبك؟ ماذا ستقول لله عز وجل؟ أَستقول له أحببتك يا رب.. خفت منك يا رب .. تركت شهواتي لأجلك يا رب .. سهرت تلك الليلة من أجلك يا رب .. حرمت نفسي المال لأعطي ذاك المحتاج يا رب..

من اجلك يا رب .. دعوتك في خلواتي.. فالآن استجب يا رب .. أحبك يا رب وأخافك وأرجو رحمتك يا رب.

أنواع الحساب

الحساب منه اليسير ومنه العسير .. ومنه حساب تكريم للعبد، ومنه توبيخ، ومنه فضل من الله وعفو وصفح يحفّ العبد وهو بين يدي ربه.

١. عند الحساب يكون العباد صفـًا صفـًا، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف٤٨]

٢. ثم يعطى العبد كتابه بيمينه أو بشماله قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة١٩-٢٩]

٣. فيقرأ كل عبد كتابه، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الاسراء١٤]

ويطلع العباد على أعمالهم التي نسوها.. قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار٥]

٤. وفي النهاية يقضي الله بين العباد كلٌ بحسب عمله.

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف: "... إنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأَنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ، فيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ" [أخرجه البخاري]

فإذا ما وقف العبد بين يدي الله فإن كان من أهل الإيمان أعطاه الله كتابه بيمينه .. وأظهر له في باطن الكتاب الحسنات وفي ظاهره السيئات .. فيأمر اللهُ العبد أن يقرأ فيقرأ السيئات .. فيصفر لونه ويتغير وجهه ويرتعد من شدة الخوف .. فإذا ما أنهى قراءة السيئات وجد في آخر الكتاب هذه سيئاتك قد غفرتها لك .. فيتهلل وجهه سعادة ولا يشقى بعدها أبداً.

ثم يواصل القراءة فإذا وصل إلى الحسنات قرأها .. فيزداد وجهه إشراقًا وفرحًا وسروراً .. فيقول الله له انطلق إلى أصحابك وإخوانك من أهل الإيمان .. فبشرهم أن لهم مثل ما رأيت.

فينطلق وكتابه بيمينه، **نضِرٌ وجهه ضاحكٌ مستبشر..**

يرجع إلى أرض المحشر يقول لصحبه وخلّانه ألا تعرفونني؟ فيقولون من أنت لقد غمرتك كرامة الله**!!**

فيقول أنا فلان ابن فلان، انظروا هذا كتابي بيميني، خذوا كتابي فاقرأوه**!**

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[الحاقة١٩- ٢٤]

أما إذا كان من أهل الشقاء .. **فيُقال:** أين فلان ابن فلان أقبِل للعرض على الله.. فيتخطى الصفوف ليرى نفسه أمام الله .. ومن ثم يُعطى كتابه بشماله أو من وراء ظهره .. من كثرة السيئات!

فيقرأ فيسود وجهه ثم يُكسى سرابيل القطران.. ويقال له انطلق إلى من هم على شاكلتك فبشرهم أن لهم مثل ما رأيت.

فينطلق من مقام الوقوف بين يدي الله إلى أرض المحشر، وقد علاه الذل والخزي والعار وكتابه بشماله .. أو من وراء ظهره ..فينطلق على من هم على شاكلته .. ألا تعرفونني؟ فيقولون: لا، إلا أننا نرى ما بك من الخزي والذل فمن أنت؟ فيصرخ بصوت عال :

فيقول: أنا فلان ابن فلان وهذا كتابي بشمالي .. ولكل واحدٍ منكم مثل هذا، فيشقى شقاوة لا سعادة بعدها أبداً !

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة٢٥-٢٩]

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق٣٧].

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزِنوها قبل أن توزنوا، فإن أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم

اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة١٨]..

فإنما يخف الحساب يوم القيامة عمّن حاسب نفسه في الدنيا.

اسأل نفسك ما هو سعيك في الحياة .. أين تذهب وماذا تفعل ؟

من تصاحب ؟ لأجل من تفعل الخير ؟

اسأل نفسك لماذا أذهب إلى ذلك المكان ؟

لماذا ولأجل من؟ أحب ، وأتكلم، وأصمت، وأخرج، وأسعى **!؟**

بادر بمحو ذنوبك، بادر بتوبة نصوح، استغفار، إنابة، رجوع، ذل وانكسار لله وحده.

مضاعفة الأعمال

يقضي الله بين العباد مع مضاعفة الحسنات لأهل الإيمان وأهل لا إله إلا الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

*فيضاعف لمن يشاء كما في الحديث: **"من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزْيَد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر" [أخرجه مسلم]**

ويبدل السيئات إلى حسنات.

ومن الأعمال التي وعدنا الله بمضاعفتها:

١. **تلاوة القرآن: "من قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ فلَه به حسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقول ألم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ" [أخرجه الترمذي]** .. ويكفيك معرفة أن قراءة صفحة واحدة من القرآن تعطيك أكثر من ٤٠٠٠ حسنة .. فأبدأ بوضع وِرد يومي من القرآن أقله صفحتين.

٢. **الصدقة**: وقد تُضاعف الحسنة يوم القيامة إلى سبعمائة ضعف، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة٢٦١]

٣. **الصيام**: وهو من الأعمال المضاعفة .. حتى أنه لا يعلم ثواب الصيام إلّا الله!!

ما هذا الثواب العظيم الذي لا يعلمه إلا الله .. وقد وصّى الرسول صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بثلاث، أولها الصيام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ [أخرجه مسلم]

فأبدأ بصيام الأيام البيض من كل شهر.. واللهِ إن أجر ها عظيم.

٤. **الصبر**: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر١٠]

والصبر الجميل هو الصبر دون تسخط ودون شكوى.

وعندما يرى أهل العافية عظيم أجر الصابرين عند الحساب، يتمنون لو أن جلودهم قُرضت بالمقاريض لينالوا أجر الصابرين.

ومن أنواع الصبر :

الصبر على أذى الناس .. الصبر على المرض .. على تربية الأولاد .. على الأهل .. الصبر على المصيبة والبلاء .. على الفقر ..على تعب وكدر الحياة ..

ومنها الصبر على الطاعات وعن ترك المعاصي .. والصبر على مجاهدة النفس .. وهذه من أكثر العبادات التي تضاعف بها الحسنات،

قيل: الصبر صَبران: صبرٌ على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي.

فضعها في حساباتك ووطن نفسك عليها.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان٧٠]

قال صلى الله عليه وسلم: "إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْها، رَجُلٌ يُؤْتَى به يَومَ القِيامَةِ، فيُقالُ: اعْرِضُوا عليه صِغارَ ذُنُوبِهِ، وارْفَعُوا عنْه كِبارَها، فَتُعْرَضُ عليه صِغارُ ذُنُوبِهِ، فيُقالُ: عَمِلْتَ يَومَ كَذا وكَذا كَذا وكَذا، وعَمِلْتَ يَومَ كَذا وكَذا كَذا وكَذا، فيَقولُ: نَعَمْ، لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُنْكِرَ وهو مُشْفِقٌ مِن كِبارِ ذُنُوبِهِ أنْ تُعْرَضَ عليه، فيُقالُ له: فإنَّ لكَ مَكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فيَقولُ: رَبِّ، قدْ عَمِلْتُ أشْياءَ لا أراها هاهُنا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ." [أخرجه مسلم]

كان مشفقاً من كبار ذنوبه .. ولكن من رحمة الله بُدلت السيئات بحسنات.

رحمتك وعفوك يا رب .. اللّهم بدّل سيئاتنا حسنات.

أول من يحاسب من الناس من أمة المصطفى عليه السلام

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لأَنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليه، وأَعْطاهُ مِن أَصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ" [أخرجه مسلم]

أول من تسعر بهم النار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

- شهيد في ميدان القتال أراد الثناء من الناس لم يُرد وجه الله.
- رجل عالم قارئ للقرآن ملأ المساجد علمًا.. تعلّم وعلَّم الناس، لكن أراد الشهرة والمكانة بين الناس، يُسحب على وجهه حتى يصل إلى جهنم .. فإذا وصل إلى جهنم قذف فيها.
- مُنفق رياءً، أنفق ماله ليقال عنه كريم، ولم يكن لوجه الله.

هؤلاء الثلاثة تُسعر بهم النار، فقد فقدوا أهم شرط لقبول العمل وهو الإخلاص لله تعالى.

أول ما يُحاسب العبد عليه

أما أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة: صلاته

الصلاة ..الصلاة .. قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أولَ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه ، فإن صلحَتْ فقد أفلح و أنجح ، و إن فسدَتْ فقد خاب و خسر" [سنن الترمذي].

الخشوع في الصلاة ..

كم من مُصلٍّ لا يصلي إلا كل يوم جمعة .. نساء وشباب وشيوخ تاركين للصلاة .. كم من شخص يصلي لا يتمُّ ركوعه ولا سجوده .. رأى حذيفة بن اليمان رجلاً يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوده فلما قضى صلاته قال له حذيفة: ما صليت ولو متّ متّ على غير سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم! .. هذا من ضيع بعضاً من أركان الصلاة فكيف بمن يضيع الصلاة!

ثم بعد أن يُسأل العبد عن الصلاة .. يُسال عن أربع:

عمره فيما أفناه؟

وعن عِلمه ماذا عمل فيه؟

وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟

وعن جسمه فيما أبلاه؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربّه .. ويصل فيه رحمه، ويَعلمُ

لله فيه حقـًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمـًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية لله يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بِنِيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمـًا فهو يَخبِط في ماله بغير علم .. لا يتقي فيه ربه ولا يصِل فيه رحمه .. ولا يعلم لله فيه حقـًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمـًا، وهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان من السوء، وسيُسأل عن نيته .. فهو بنيته ووزرهما سواء" [أخرجه الترمذي].

إنما الأعمال بالنيات .. عليك بالصدق وإخلاص النوايا.. سيُسأل العبد عن النوايا إن كانت سيئة وسيحاسب عليها!

انظر للعمر هذه الأيام .. انظر للسنين والشهور والأيام والساعات والدقائق تسير بسرعة رهيبة.. تمُر علينا ونحن لا نشعر .. سنُسأل عن هذه الدقائق الغالية.. كيف مرّت.. كل دقيقة في عمرك ستُسجل .. إما على الكتف اليمين وإما على الشمال .. أنت الذي تحدد.

الأمر جدي وخطير، فكر في حل ! .. اخترع طريقة تلتزم بها كي لا تضيع هذا اليوم وهذا الشهر وهذا العمر هباء منثوراً.

ضع لنفسك برنامجاً للطاعات ولِأذكار الصباح والمساء وأذكار ما بعد الصلوات، حدد ساعة في هذا البرنامج تخلو فيها مع الله، تدعوه وتذكره بوجل وخشوع، والتزم بهذا البرنامج مهما كان ! اجعل هذا هدفك الآن ولا تحِد عنه.

ابحث عن شيء يحبه الله .. اشغل نفسك فيه وانغمس به .. لا تقلق ستكون وقتها على الطريق الصحيح حتى لو انتقدك الناس .. ابحث على الإنترنت عن أفكار لمشروع العمر، مشروع طويل المدى، مشروع ممتد للآخرة.

اطلب العلم ، يوجد العديد من البرامج العلمية على الإنترنت لطلبة العلم الشرعي، منها ما هو طويل المدى يمتد لسنوات ومنها ما يستمر لأسابيع، سجّل في أحدها وألزم نفسك كي لا يضيع عمرك في التفاهات.

ابدأ مشروع تدبر القرآن الكريم الذي ذكرناه في أول الكتاب، أو ابدأ في حفظ كتاب الله، ابدأ بوِرد بسيط، احفظ آيتين كل يوم، اشغل نفسك بالحق وإلا شغَلَتك بالباطل!

هذه المشاريع لن تُدِرّ عليك الأرباح المادية .. بل هي مشاريع تَستثمر بها أنفاسك، فتكون مستعداً للحياة الثانية التي ستنتقل إليها خلال سنوات تمر سريعًا وربما خلال شهور الله أعلم، وخير ما تُبذل فيه الأعمار كتاب الله، حفظًا وتلاوة وتدبراً.. ابدأ من اليوم .. العمر قصير .. انظر لنفسك ماذا أعددت اليوم للوقوف بين يدي الله عز وجل؟ انظر للعام الماضي هل أعددت فيه شيئا لحياتك الأزلية!

حسنا انظر لآخر خمس سنوات لربما وجدت شيئًا مميزاً تُقابل به الله فيغفر به لك ذنوبك !! هل وجدت شيئا ؟! إذا لم تجد فأنت في مرحلة الخطر .. وغارقٌ في الغفلة.. الحق نفسك والحق بسفينة النجاة .. فمشروع العمر هذا سيتطلب منك سنوات من الانشغال المُمتع به .. ليس معنا وقت كثير .. الحياة تمُر كلمح البصر!

كيف تجد مشروع عمرك الذي سيضمن لك **أعلى الدرجات؟**

أولاً:

ألح بالدعاء وبالذات هذه الأدعية التي سنوردها **تاليًا** .. وأكثِر منها في السجود وفي أوقات الإجابة واحرص على أن تحفظها الآن .. وادعُ الله بها في هذه الليلة وفي كل يوم إلى أن ترى بوادر الإجابة تلوح بالأفق:

١. اللهمَّ اهدني وسددني ووفقني لأعظم الأعمال والأقوال والنيات والدعاء وأحبها اليك وتقبلها مني.

أنت هنا تطلب من الله أن يوفقك لأعظم ما انشغل به الصالحون من قبلك .. وهنيئًا لك إذا ألححت بالدعاء واستُجيب لك.

أوصانا الرسول عليه الصلاة والسلام بحفظ هذا الدعاء..

٢. **" اللَّهمَّ إنِّي أسالُك فِعلَ الخيراتِ وتركَ المنكراتِ وحبَّ المساكينِ وأن تغفرَ لي وترحَمَني وإذا أردتَ فتنةً في قومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ وأسالك حبَّكَ وحبَّ من يحبُّكَ وحبَّ عملٍ يقرِّبُني إلى حُبِّكَ . وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّها حقٌّ فادرُسوها وتعلَّموها"** [أخرجه الترمذي]

وهذا الدعاء الجامع الذي أوصانا الرسول عليه السلام بتعلمه، يتضمن أهمّ المطالب التي يصبو إليها العبد، ولا يُحصّل الفلاح والسعادة إلا بها.

٣. اللّهم أشغلني بالقرآن وبالدعوة إليك ما حييت.

وأنت بهذا الدعاء تطلب من الله بأن يشغل أوقاتك وعمرك بأعظم ما اشتغل به علماء الإسلام -كتاب الله- .. سواء كان فهماً أو حفظاً أو تلاوة أو تدبراً .. وهذا لوحده كفيل أن يقلب شخصيتك وكيانك قلباً.. وهذا من ثمرات التدبر .. فَهمُ كتاب الله يفتح لك آفاقاً عظمى لا يعلمها إلّا الله .. فإن كانت هناك هداية

على وجه الأرض فهي في القرآن .. ولا تنسَ أن التدبر ثم العمل هو المغزى من إنزال القرآن الكريم على البشر .. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص٢٩]

راجع فصل: "حدد دستورك وطريقك في الحياة"

والقسم الثاني من هذا الدعاء: أن يشغلك بالدعوة إليه

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ **(فصلت٣٣)**، قال عنه الحسن البصري ذاك حبيب الله ذاك صفوه الله ذاك خليفه الله.. والدعوة إلى الله اتّسعت وتنوعت أساليبها في زماننا، فتستطيع أن تدعو إلى الله وتنشر هذا الدين من بيتك وأنت جالس أمام هاتفك، **فاستعن بالله ولا تعجز ولو أن تنشر حديثاً كل يوم على مواقع التواصل الاجتماعي، تطبيقا لأمر رسول الله "بلغوا عني ولو آية" [أخرجه البخاري]**

لا تستكثر هذه الأدعية وغيرها على نفسك .. فالله واسع غني كريم .. لو أعطى كل واحد من الخلق بمقدار كوكب الأرض مُلكاً ورزقاً لما نقص من ملكه شيء سبحانه .. فقط تجرأ واطلب من الكريم المعطي .. وراجع فصل النوايا والسرائر من هذا الكتاب لتعرف مدى أهمية تعظيم النوايا والأدعية.

أرجو أن تبدأ بهذه الأدعية من هذه الدقيقة التي تقرأ فيها هذه السطور .. واعلم أن من صدق مع الله صَدَقه الله.

ثانياً:

ابدأ بأبسط الأعمال التي دلنا عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي فضائل الأعمال **والإحسان إلى الخلق ومنفعتهم وقضاء حوائجهم** .. وإن بدأت

بتطبيقها بشكل مطرد في حياتك فأبشر .. لأنك ستكون استثمرت حياتك كلها في أفضل الأعمال التي مدحها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وراجع فصل "فضائل الأعمال التي تنفع المؤمنين ذاك اليوم العظيم".

وصلنا الآن إلى هذه الفئة التي جَمعنا لأجلها هذا الكتاب .. وقد قُمنا بذكر صفاتهم وأعمالهم في بداية الكتاب، لك أن تراجعها إن شئت.

ومنها: قوة اليقين .. وكمال التوكل .. وكمال الاعتقاد أن الضار والنافع هو الله فقط، المُعِز المُذِل هو الله فقط !

قال صلى الله عليه وسلم: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النبيَّ ومعهُ الرُّهَيْطُ، والنبيَّ ومعهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنبيَّ ليسَ معهُ أحَدٌ، إذْ رُفِعَ لي سَوادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أنَّهُمْ أُمَّتِي، فقِيلَ لِي: هذا مُوسَى صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقَوْمُهُ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ إلى الأُفُقِ الآخَرِ، فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: هذِه أُمَّتُكَ ومعهُمْ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخاضَ النَّاسُ في أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ، فقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإسْلامِ ولَمْ يُشْرِكُوا باللهِ، وذَكَرُوا أشْياءَ فَخَرَجَ عليهم رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: ما الذي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فأخْبَرُوهُ، فقالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقامَ عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فقالَ: أنْتَ منهمْ، ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ، فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فقالَ: سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ." [أخرجه مسلم]

وقال صلى الله عليه وسلم: "وعَدني ربِّي أن يُدخِلَ الجنَّةَ من أمَّتي سبعينَ ألفًا لا حسابَ عليهم ولا عذابَ معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا وثلاثُ حَثياتٍ من حَثياتِ ربِّي" [اخرجه الترمذي واحمد]

الحثية: عدد لا يعد ولا يحصى.

أي سيدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب عدد هائل.. ولا يقدر بمقدار!

بالإضافة لثلاث حثيات من حثياته عز وجل .. بعدد لا يُعد ولا يُحصى .. وقيل بل المراد أن: مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات الغني الواسع الكريم .

وتخيل معي مقدار هذا العدد الضخم !

مع تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه في الحثو .. فالله ليس كمثله شيء !

بعد هذه الأرقام الضخمة، أتستبعد لنفسك أن تكون من السبعين الفاَ هؤلاء!؟

هاتِ نستعرض صفاتهم مرة أخرى بالحديث النبوي الشريف:

"يدخلُ مِن أمَّتي الجنَّةَ سبعونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ همُ الَّذينَ لاَ يسترقونَ ولاَ يكتَوونَ، ولا يَتطيَّرونَ وعلى ربِّهم يتوَكَّلونَ" [صحيح مسلم]

إنهم المتوكلون .. الذين وثقوا بالله ثقة تامة .. واعتمدوا عليه اعتمادا كاملا في جميع أمورهم .. فلم يلجئوا إلا إليه ولم يسألوا حاجاتهم من بشر.. بل فوضوا جميع أمرهم إليه.. وقد ذكرنا عبادة التوكل بتفاصيلها في فصل سابق.

ومِن أقرب العباد لهذا المقام، وعسى أن يكونوا ممن يدخلون الجنة بلا حساب:

١. **الفقراء الصابرون، قال صلى الله عليه وسلم: "تجتمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة .. قال فيقال لهم ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتُلينا فصبرنا وولّيتَ الأموال والسلطان غيرنا .. فيقول عز وجل: صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل الناس، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان". [صحيح ابن حبان]**

المتحابون بالله يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب.

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِن النَّاسُ، وقرَأ هذه الآيةَ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]" [صحيح ابو داوود]

٢. **ومن هؤلاء أهل الحلم والعفو عن الناس، الكاظمين الغيظ ..** هم ممن يدخلون الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب.

٣. **أهل الأخلاق الحسنة المتواضعون "حسن الخلق".**

قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنكُم أخلاقًا ، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ ؟ قالَ : المتكَبِّرونَ". [صحيح الترمذي]

الثرثار: كثير الكلام

المتشدق: المتكلم بملء شدقه تفاصُحاً وتعظيماً لكلامه.

أما المقصرون في حق الله يُعاتَبون وبعدها يدخلون الجنة.

ومن الاعمال التي توجب الفردوس الأعلى وتوجب رفقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة:

١. حب الله ورسوله **"المرء مع من أحب". [أخرجه البخاري]**
٢. كفاله اليتيم **"أنا وكافل اليتيم كهاتين".[صحيح الترمذي]**
٣. تربية البنات ، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يَمُتن أو يموت عنهن، كنت أنا وهو كهاتين،" وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى. [صححه الألباني]**
٤. كثرة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي إخراج من الظلمات إلى النور، وهي المعلم لمن لا معلم له .. تجلي القلوب جلاء وهي واعظ من غير واعظ.

قال صلى الله عليه وسلم: "أَولَى النَّاسِ بي يومَ القيامَةِ أكثَرُهم علَيَّ صلاةً" [أخرجه الترمذي]

اللهم اجعلنا من صفوة خلقك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب.

الميزان

بعد أن يُحاسب العبد على أعماله وفي ختام يوم القيامة، يُنصب الميزان لتوزن أعمال العباد.

يقول القرطبي: "وإذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة".

والميزان هو ميزان حقيقي لا يعلم قدره وعظمته وحجمه إلّا الله .. كبير بحيث أنه يسع السماوات السبع والأراضين، ولا يعلم حقيقة الميزان إلا الملك الرَّحْمَن.

قال صلى الله عليه وسلم: "يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوزنهما، فإذا رأته الملائكة قالت: يا رب: لمن يزن هذا؟! قال: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك" [صححه الألباني]

أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عبد الله بن العيزار قال :عند المِيزانِ مَلَكٌ يُنادِي: ألا إنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ، وسَعِدَ سَعادَةً لَنْ يَشْقى بَعْدَها أبَدًا، ألا إنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ خَفَّتْ مَوازِينُهُ، وشَقِيَ شَقاءً لَنْ يَسْعَدَ بَعْدَهُ أبَدًا

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[القارعة٦-١١]

توزن أعمال الكافر لكن لا قدر لها، قال تعالى: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف١٠٥]

إنه ميزان دقيق جدًّا، يزن كل صغيرة وكبيرة، ولو كان مثقال ذرة، وكيف لا يكون دقيقًا وواضعه هو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين سبحانه وتعالى؛ يقول جل في علاه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

إن أعظم الأعمال الصالحة التي **تُثقِّل الميزان** يوم القيامة هي كلمة التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، كما ورد في حديث البطاقة المشهور.

من دِقة عدل الملك؛ فإن مَن ثقُل ميزانه ولو بحسنة واحدة .. سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبداً .. ومن خفّ ميزانه شقي.

أمّا من استوت موازينه فهو من أهل الأعراف .. أحاطت بهم سيئاتهم فلم يدخلوا الجنة .. ومنعتهم حسناتهم من أن يدخلوا النار .. يُحبسون على الأعراف بين الجنة والنار، فإذا الْتَفت أهل الأعراف إلى أهل الجنة سلموا عليهم:

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[الاعراف٤٦] .. أي لم يدخل أهل الأعراف الجنة، وهم يرجون ويطمعون رحمة الله في دخول الجنة .. وإذا التفتوا إلى الناحية الأخرى .. رأوا أهل الجحيم .. تضرعوا إلى الملك العليم ألا يجعلهم من أهل النار.

حريّ بالعبد أن لا يستهين بمعصية واحدة ولو صغيرة، ولا تحتقر أي عمل صالح ولو قل .. حسنة واحدة تُثقل الميزان وسيئة واحده تخفف الميزان!

بكلمه واحدة تُقاد إلى رضا الرَّحْمٰن .. وبكلمة واحدة تُقاد إلى سخط الجبار! قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون١٠١-١٠٣]

وعن أَبي ذرٍّ قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طلق" [أخرجه مسلم]

لا تقُل عمل بسيط أو طاعة صغيرة فكم من عمل صغير عظّمته النية .. وكم من عمل عظيم حقرته النية.

لا تحقرنَّ من المعروف شيئـًا .. لن يعجز العبد عن أن يبتسم في وجه إخوانه .. غفر الله لامرأة بغي سقت كلبـًا عطشـًا.. أدلى لسانه من العطش .

فإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا..

فكيف تصنع الرحمة بمن وحّد ربّ البرايا ..؟

أثقل الأعمال في الميزان

توزن الأعمال الصالحات من صيام وصلاة وزكاة وحج وعمرة وبرّ وصدقه وحسن الخلق .. تتحول العبادات إلى أجسام توضع في الميزان ومِن أثقلها :

**** حسن الخُلق**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما شيءٌ أثقلُ في ميزانِ المؤمِنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ، فإنَّ اللهَ تعالى ليُبغِضُ الفاحشَ البَذيءَ" [صحيح الترمذي]**

إن الأمة بعلمائها وشيوخها ودعاتها ورجالها ونسائها وشبابها وأطفالها تحتاج إلى حسن الخلق .. أخلاق الإسلام .. أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم.

الصدق، الرِّفق، الإخلاص، الحلم، العفو، البر، الحياء، الكرامة، الكرم، الأصل أن المؤمن هو الذي يَثقل ميزانه بحسن الخلق وليس الكافر

الدليل: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً" [أخرجه الترمذي]

وقال رسول الله ﷺ : إن العبد المؤمن ليدرك بحسن خلقه ، درجة الصائم القائم ! [أخرجه أبو داوود]

هؤلاء أصحاب الأخلاق العليا .. من أقرب الناس إلى رسول الله **عليه السلام.**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أحبِّكم إليَّ، وأقربِكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا" [صحيح الترمذي]

ومن العبادات التي تثقل ميزان العبد:

**"كلمتان حبيبتان إلى الرَّحْمٰن، خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" [أخرجه البخاري]

** ومن الأعمال الثقيلة في الميزان أيضا وتملؤه قوله صلى الله عليه وسلم: "الطُّهورُ شطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تَملآنِ ما بين السماءِ والأرضِ والصلاةُ نورٌ، والصدَقةُ بُرهانٌ، والصبرُ ضِياءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لكَ أوْ عليكَ، كلُّ الناسِ يَغدُو، فبائِعٌ نفسَهُ، فمُعتِقُها أوْ مُوبِقُها" [صححه الالباني]

** التسبيح والتهليل بالقلب قبل اللِّسان..

قال النبي ﷺ : "بخ بخ خمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والداه " [مسند أحمد]

وقال صلى الله عليه وسلم عن الباقيات الصالحات:" لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ." [صحيح مسلم]

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قال: سبحان اللهِ وبحمدِه مائةَ مرةٍ غُفِرَتْ له ذنوبُه وإنْ كانتْ مثلَ زبَدِ البحرِ" [أخرجه الترمذي]

**القرآن

يأتي يوم القيامة، ليقف أمام العبد .. بين يدي الله جل وعلا على هيئة غمامة تُظل رأس العبد ليشفع له أمام الله، ويحاج القرآن عن العبد بين يدي الحق سبحانه.

**لا إله إلّا الله

قال صلى الله عليه وسلم : "إنَّ اللهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ علَيهِ تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ ثمَّ يقولُ : أتنكرُ من هذا شيئًا ؟ أظلمَكَ كتبتي الحافِظونَ ؟ يقولُ : لا يا ربِّ، فيقولُ : أفلَكَ عذرٌ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ ، فيقولُ: بلَى، إنَّ لَكَ عِندَنا حسنةً وإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فيخرجُ بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، فيقولُ: احضُر وزنَكَ فيقولُ يا ربِّ، ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجلَّاتِ؟ فقالَ: فإنَّكَ لا تُظلَمُ، قالَ: فتوضَعُ السِّجلَّاتُ في كفَّة، والبطاقةُ في كفَّةٍ فطاشتِ السِّجلَّاتُ وثقُلتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ معَ اسمِ اللهِ شيءٌ" [أخرجه الترمذي]

حسابٌ ثم ميزانٌ ثم صراط ..

وبعد أن حوسب الناس وأخذ كلٌ منهم كتابه بيمينه أو بشماله أو وراء ظهره .. وبعد أن وُزنت الأعمال بالميزان ..

ينقسم الناس إلى فئات وأزواج .. وكل شخص مع مثيله؛ الصالحون مع بعضهم .. المتصدقون مع بعضهم المتوكلون مع المتوكلين ..أهل الرِّبا مع أهل الرِّبا .. المتكبرون مع المتكبرين الظالمون مع الظالمين وهكذا ..

ثم بعد هذا يَضرب الله عز وجل الظلمة قبل جهنم والعياذ بالله .. فيَسير الناس بما يعطوْن من أنوار.. كلٌ نوره على حسب عمله .. فتسير هذه الأمة وفيهم المؤمنون والمنافقون ..

يمشون ذاهبين إلى الصراط..

ثم إذا ساروا على أنوارهم ضُرب بينهم السور المعروف ..

قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[الحديد١٣-١٤].

يعطي الله عز وجل للمؤمنين النور فيبصرون طريق الصراط.. وأما المنافقون فلا يعطون النور .. بل يكونون مع الكافرين يمشون في ظلمةٍ حالكة و أمامهم جهنم والعياذ بالله.

يكون أهل النِّفاق في ظلمات حالكة، عندها يرون أهل الإيمان بأنوارهم ينطلقون بسرعة ..ينادونهم انتظرونا لا تتركونا في الظلمات .. أعطونا من نوركم ألم نكن معكم نصلي ونصوم ونحج .. ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد١٤].

بالحق وأهلِه شككتم .. بالبعث والحساب كذبتم .. قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الحديد١٤].

أي : الموت فاجأكم !

بعد الميزان ووزن الأعمال .. هنا الصراط.

ثم يرى الناس الصراط !

جسر حاد أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف.

الصراط جسر أدقُّ من الشعرة .. وأحدّ من السيف .. يضربه الله عز وجل على ظهر جهنم ليمُر عليه المؤمنون إلى جنات النعيم، والمشركون إلى جهنم وبئس المصير .. فهو قنطره بين الجنة والنار.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم٧١].. أي ورود المشركين إلى جهنم .. وورود المؤمنين إلى الجنة بالمرور فوق جهنم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم٧٢] ، ورود المؤمنين بالمرور عليها دون العذاب ..

إذا وقع البصر تحت الصراط لا يُرى إلا سواد جهنم .. والملائكة قد أحاطت بالصراط بأجسام غلاظ .. وفي حافتي الصراط كلاليب مُعلّقة، يُخطف بالكلّوب الواحد آلاف وآلاف الآلاف!.. **فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوس في النار.**

وإذا بالرحم والأمانة وقد قامت على جنبي الصراط يميناً وشمالاً .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقوم على الصراط هو والأنبياء، ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ربي سلّم سلّم.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أول من يجتاز الصراط.

ومما يثبّت المؤمنين على اجتياز الصراط:

قال صلى الله عليه وسلم: "من مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له ؛ ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ." [صححه الالباني]

يمشي الناس على الصراط مع دقّته وحدته، وكل امرئ يحمل أوزاره على ظهره .. كلما ثقُل الوزن كلما بطئ المشي .. ومنهم من يسقط في جهنم بعد أن تخطفه الملائكة .. ومنهم من يزل ومنهم من يتعثر من المنافقين والفاجرين من عصاة الأمم.

أهل النار يتهافتون إلى النار .. والرسول حبيبنا صلى الله عليه وسلم يقول يا رب سلِّم سلِّم .. وأهل النار يصرخون بالويل والثبور من كثرة الخلائق التي سقطت في النار .. والظُلمة قد أحاطت بالمكان، ظلمات فوق بعض.

ومنهم من يمشي على يديه وعلى قدميه يحبو .. فيرفع يداً ويضع أخرى ويرفع رأسه .. فإذا بالناس يمرون على الصراط إلى الجنة، فيقول هذا المسكين:

يا رب أبطأت بي .. فيقول الله عز وجل: عبدي ما أبطأت بك، إنما أبطا بك عمَلُك !

وفي وسط الظلمات والأنوار .. كلٌ تكون ظلمته أو نوره على قدر عمله.

قال صلى الله عليه وسلم: "يُجْمَعُ الناسُ يومَ القيامةِ إلى أن قال: فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْرِ أعمالِهم؛ وقال: فمنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ الجبلِ بينَ يَدَيْهِ، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه فوقَ ذلك، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ النخلةِ بيمينِهِ، ومنهم مَن يُعْطَى دون ذلك بيمينِه، حتى يكونَ آخِرُ مَن يُعْطَى نُورَه على إبهامِ قَدِمِه، يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مَرَّة، وإذا أضاء قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طَفِئَ قام، قال فيَمُرُّ ويَمُرُّونَ على الصراطِ، والصراطُ كحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ ، مَزَلَّةٌ، فيُقالُ لهم، امْضُوا على قَدْرِ نورِكم، فمنهم مَن يَمُرُّ كانْقِضاضِ الكوكبِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالطَّرْفِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كشَدِّ الرَّحْلِ، يَرْمُلُ رَمَلًا، فيَمُرُّونَ على قَدْرِ أعمالِهم، حتى يَمُرَّ الذي نورُه على إبهامِ قَدَمِه، تَخِرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يَدٌ، وتَخِرُّ رِجْلٌ، وتَعْلَقُ رِجْلٌ، وتُصِيبُ جوانبَه النارُ فيَخْلُصُونَ، فإذا خَلَصُوا قالوا: الحمدُ للهِ الذي نَجَّانا منكِ بعدَ أن أَرَانَاكِ، لقد أعطانا اللهُ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ" [صحيح/ شرح الطحاوية]

هذا هو الوقوف على جسر جهنم على الصراط !

قال صلى الله عليه وسلم: "وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ، فتقومان جنَبتيِ الصِّراطِ، يَمينًا وشِمالًا" [صحيح مسلم] .. لماذا الرحم والأمانة !؟

لتطالب كل من يمر على الصراط بحقها، وهذا لعظيم حقهما عند الله، **ولعِظَم شأنهما، ولشدة ما يلزم العباد من رعاية حقّهما.**

الأمانة

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب٧٢]

السر أمانة، المجلس أمانة، الأولاد أمانة، استيداع المال أمانة، الدِّين كله أمانة .. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الانفال٢٧]

وضد الأمانة الخيانة .. وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المجالس أمانة بكل ما يحدث بها من كلام وأعمال لا يجوز نشرها وإفشاء أسرارها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تكونُ فتنةٌ النَّائمِ فيها خيرٌ منَ المضطَّجَعِ، والمضَّطَجعُ فيها خيرٌ منَ القاعِدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ منَ القائمِ، والقائمُ خيرٌ منَ الماشي، والماشي خيرٌ منَ الرَّاكبِ، والرَّاكبُ خيرٌ منَ المجري قتلاها كلُّها في النَّارِ، قال: قلتُ يا رسولَ الله، ومتى ذلِكَ؟ قال: ذلِكَ أيَّامَ الهرْجِ، قلت: ومتى أيَّامُ الهرْجِ؟ قال: حينَ لا يأمنُ الرَّجلُ جليسَهُ، قال: فبمَ تأمُرُني إن أدرَكْتُ ذلِكَ الزَّمانَ؟ قال: اكفُفْ نفسَكَ ويدَكَ، وادخل دارَكَ. قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن دخلَ عليَّ داري؟ قال: فادخُل بيتَكَ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إن دخلَ عليَّ بيتي؟ قال: فادخُل مسجدَكَ، واصنع هَكَذا - وقبضَ بيمينِهِ على الكوعِ - وقل: ربِّيَ الله، حتَّى تموتَ على ذلِكَ" [صححه الالباني]

والرحم والأمانة تقفان على الصراط فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً .. لا يمر أحد حتى تأخذ حقها منه .. في من ضيع الأمانة .. وفي من قطع الرحم !

ونحن في زمان يقطع الولد أمه وأبيه وهم أقرب الرحم إليه !

يصلي في المسجد .. ويهين أمه وأباه وعمه وعمته وخاله وخالته .. ومنهم من يقول إن لم يزُرني قريبي فلن أزوره ! هذا ليس بصلة رحم هذه مصالح متبادلة ! وإنَّما صلة الرحم إذا قُطعت أن تصلها !

اقرأ معي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فأخَذَتْ بحَقْوِ الرَّحْمَن، فقالَ لها: مَهْ، قالَتْ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: ألا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ، قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَذاكِ. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. [وفي رواية]: قالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: واقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [صحيح البخاري].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ. قالَ ابنُ أَبِي عُمَرَ: قالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ" [صحيح مسلم].

نفي من الصادق المصدوق

وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، أوْ يُنْسَأَ له في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" [صحيح البخاري].

أما إذا كانت الأرحام التي ذكرناها فيها الاختلاط والمعاصي والضلال .. فهذا هجر لأجل الله .. والهجر نوعان: هجر للدنيا وهجر للأخرة.

فإن هجر لأجل الدنيا فهذه قطيعة .. أما إن هجر ابتغاء الدارالآخرة خوفاً على دينه وعلى أولاده وزوجته من الفسوق وضعف الإيمان في مخالطتهم بعد أن نصحهم، فهذا مأجور عليه.

بعد حشر الناس يطلب من كل أمة أن تتبع الإله الذي كانت تعبده .. فيتبعون آلهتهم، من كان يعبد الشمس والقمر والنار .. تقع الآلهة في النار .. ومن ثم يقع ويتساقط عُبّادها وراءها.

لمن يُنصب الصراط؟

قال القرطبي في التذكرة عن الصراط أنه: مُجاز لأهل المحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار.

يتهافت الكفار والمشركون في النار قبل ورود الصراط ، فلا يبقى إلا المؤمنون والمنافقون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، والمؤمنون والمنافقون من الأمم السابقة وبقايا من أهل الكتاب.

وعُصاة المؤمنين ..

المنافق على الصراط .. لا نور له! صراط دقيق وجهنم تحته وظلمة حوله .. فيذهب بعد حسرته عند رؤيته أهل الأنوار واستغاثته بهم إلى الدرك الأسفل من النار –قعر جهنم–.

أما أهل المعاصي والذنوب والكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيسقطون في أول جهنم .. في أعلى طبقة من جهنم ..لِما معهم مِن لا إله إلّا الله.

ومَن رَضيَ الله عنهم، يتجاوزون الصراط..

فمنهم ناجٍ سليم .. ومنهم ناجٍ مخدوش.. ومنهم مكدوس في النار والعياذ بالله.

ثم بعد تجاوز الصراط يُحبسون عند القنطرة في حقوق بينهم .. والقنطرة هي الموقف الأخير قبل الجنة.

القنطرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أذن لهم بدخول الجنة" [صحيح البخاري]

القنطرة هي مكان يقتص فيه الناس من بعضهم البعض عن المظالم الخفيفة التي تعرضوا لها في الدنيا، وتُنقّى فيه القلوب مِن غل أو حقد أو تشاحن فيما بينهم .. ليستوفوا حقوقهم من بعضهم، حتى لا يبقى في قلوبهم مثقال ذرة من غل .. فالجنة محرّم فيها دخول من في قلبه غل أو حقد.

ويكون هذا القصاص بين المؤمنين الذين لا تستنفد مظالمهم حسناتهم، فيكون القصاص لتنقية القلوب وتصفيتها من بقايا الغل . قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر٤٧]

أما المظالم الثقيلة التي عَلِم الله أنها تستوفي كل الحسنات ، فإن صاحبها لن يعبر الصراط وسيقع في جهنم والله أعلم .

ثم بعد القصاص يتبين ويظهر كم بقي له من حسنات وكم بقي من السيئات.. وبناءً على هذا يقع بينهم التفاضل في درجات الجنة على قدر ما بقي لهم من حسنات.

وهذا هو يوم القيامة قد مَرَّ بأهواله ومواقفه العظيمة، مِن بَعثٍ من القبور، ثم الوقوف في أرض المحشر، ثم العرض على الله، ثم السؤال والحساب ، ثم وزن الأعمال، ثم صراط، ثم قنطرة..

بعد الانتهاء من القصاص في القنطرة، يقف الفائزون بالجنة على باب الجنة فإذا هو مغلق فيَستفتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يستفتح النبي صلى الله عليه وسلم جميع أبواب الجنة .. فتُفتح له ويكون هو أول من يدخل الجنة ومعه كافل اليتيم .. ومعه صاحب الخلق الحسن .. وسبعون ألف ممن لا حساب عليهم ولا عذاب، **قال عليه السلام: " فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة: أدلُّ منه بمنزله كان في الدنيا" [أخرجه البخاري]**

بعدما يستقر أهل الجنة في قصورهم وجنّاتهم، يتساءلون عن أصحابهم وأقاربهم .. فيتذكرون أنهم قد سقطوا في النار ..

ويأذن الله بالشفاعة، وهذه شفاعة أهل الجنة

فيَجأرون إلى الله ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأذن لهم الله عز وجل بالشفاعة .. فيشفع الشهيد لسبعين من أهل بيته، كلهم وجبت لهم النار فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة.

ويأتي السقط وقد مات فرطًا .. إن كان أبواه من أهل النار أخرجهما من النار شرط أن يكونا موحدين.

فيشفع الناس ويبدأ الأصحاب يشفعون، فيقولون يا رب لا نهنأ بالجنة وأصحابنا في النار .. فيُخرجون أصحابهم منها، فيتفقد أهل النار بعضهم، فيقولون إن فلان وفلان كانوا قبل قليل معنا في النار .. فيُقال إن لهم أصحاب من أهل الجنة شفعوا لهم وأخرجوهم إلى الجنة .. فيبكي أهل النار ويقولون :

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾[الشعراء١٠٠-١٠١]

فيأتي نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رب وعدتني ألا تخزني في أمتي .. فيقول الله عز وجل: أخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان .. فيخرجون .. فينظر إلى الطبقة الأولى من النار وكلهم من أهل التوحيد .. فيرى النبي صلى الله عليه وسلم أناس ما زالوا في النار.. فيقول يا رب أمتي .. فيقول الله عز وجل: أخرج من كان في قلبه مثقال نصف دينار .. فيخرج أقوام وما يزال هناك أقوام .. فيُقال أخرج من كان في قلبه مثقال شعرة.. فيخرجون.. وما يزال هناك أقوام لا يوجد في قلبهم إيمان مثقال حتى شعرة .. فيقال أخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فيخرج أقوام وما تزال النار فيها أقوام.

فيقال له: أخرج من قال لا إله إلّا الله -وكانوا قد عملوا في حياتهم خيراً قليلاً- .. ويخرج أقوام وما يزال في جهنم أقوام.. فتنتهي الشفاعات.. ويأتي بعدها فضل الله ورحمته.

فيقول: شفع الأنبياء وشفع الناس وشفع الصديقون وشفع الشهداء ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين.

فيقبض الله عز وجل قبضة بيمينه لأقوام لم يعملوا خيراً قط، لكنهم ماتوا على لا إله إلّا الله .. يقول لا إله إلّا الله لكن لا صيام ولا صلاة ولا عبادة.. فلا يبقى أحد في النار ممن قال لا إله إلّا الله سواء عنده عمل خير قليل، أو من الذين لم يعملوا خيراً قط !

فيَضعهم الله على حافة الجنة .. وقد تفحّموا من النار فيبيتون في النهر على حافة الجنة، الناس لا تعرفهم لكن الله يعرفهم ويُسمّون عتقاء الله من النار.

لذلك موضوع لا إله إلّا الله في القلب عظيم عند الله !!

فهو أساس التوحيد.

ومِن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من لم يقع في الشرك، لكنه وقع في النفاق.

وفيه قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–:

بل تفاوت نور لا إله إلا الله في قلوب أهليها لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدرّي، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المُضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعَظُم؛ أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته.

وصف الجنة

هو وصفُ دارٍ غَرَسها الرَّحْمُن بيده .. فكيف بدار غرسها الله بيده وجعلها مقرّاً لأحبابه .. وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه .. كيف يستطيع أحد أن يصفها !

وقد وصف الله تعالى نعيمها بالفوز العظيم ووصف مُلكها بالمُلك الكبير، من حاز نعيم الجنة فاز فوزاً عظيماً .. ومن ملَكها فقد ملك ملكاً كبيراً.

فإن سألت يا طالب الجنة، عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران !

وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرَّحْمُن !

وإن سألت عن حصبائها، فهو اللؤلؤ والجوهر والياقوت والمرجان !

وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، يُرى ما بداخل هذه اللبنات من صفائها !

وإن سألت عن أشجارها، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا حطب ولا خشب .. وأوراقها أحسن ما يكون من رقائق الحلل !

وإن سألت عن أنهارها، فإنها من لبن مصفّى، وعسل مصفّى لذة للشاربين ! لم يخرج من بطون النحل أو الأنعام !

وإن سألت عن طعامهم، فهو فاكهة مما يتخيرون ولحم طير مِمَّا يشتهون، والآنية من ذهب وفضة !

وإن سألت عن سعتها، فأدنى أهلها يسير في مُلكه وقصوره وخيامه وبساتينه مسيرة ألفي عام !

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة من الدّر والياقوت طولها ٦٠ ميلاً .. ومنها ما هو على حافة نهر الكوثر من هذه الخيام !

وفراشها وبطائنها، من استبرق مفروشة في أعلى الرتب !

وأرائكها، أسرة مزرورة بأزرار الذهب .. وأما أصواتها ففيها غناء الحور العين .. وفيها سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما خطاب رب العالمين !

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستنفر بالطرَب لمن يسمعها .. ولو أن الله كتب عليهم الموت لماتوا من جمال صوتها ومن شدة الطرب !

وإن سألت عن مطاياهم، (مواصلاتهم) التي يتزاورون عليها، فنجائب تسير بهم حيث شاءوا من الجنان !

وإن سألت عن حلِيهم، فأساور من الذهب واللؤلؤ وعلى الرؤوس التيجان!

وينادي الله ويقول بعد هذا كله وهذا النعيم والفوز العظيم الذي هم فيه خالدون، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر٤٨] .. لا نوم فيها من كثرة شغل أهل الجنة وانشغالهم بالنعيم!

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس٥٥]

وفي الحديث الشريف: "أنَّ رجلًا سأل النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال يا رسولَ اللهِ هل في الجنَّةِ من خيلٍ قال إن الله أدخلَك الجنَّةَ فلا تشاءُ أن تحملَ فيها على فرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ يطيرُ بك في الجنَّةِ حيث شئتَ ؟ قال: وسأله رجلٌ

فقال يا رسولَ اللهِ هل في الجنَّةِ من إبِلٍ؟ قال فلم يقُلْ له مثلَما قال لصاحبِه قال إن يُدخِلْك اللهُ الجنَّةَ يكن لك فيها ما اشتهَتْ نفسُك ولذَّتْ عينُكَ "[سنن الترمذي]

في مُلك لا يعلم سِعته إلا الله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الانسان٢٠].

فالعجب من الغفلة، غفلة ابن آدم ! من لحظاتٍ عليه معدودة .. وأنفاس تذهب ولا تعود .. والليل والنهار يسيران وهو غافل!

فإذا جاء الموت ونزل به، اشتدّ قلقه لخراب ذاته بينها وبين ربه .. وأعظم غش وخداع، بيع الجنان ! بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بِدنيا كأضغاث أحلام، كطيف مليء بالنقص..

إن أضحَكت الدنيا قليلاً .. فهي أبكت كثيراً .. وإن أسرّت يوماً أحزنت شهراً .. فيها تزيد النكبات على اللذات أضعاف أضعاف .. أولها مخاوف على المال وعلى الولد وعلى الصحة .. وآخرها متالِفٌ من مرض وموت.

فيا عجبًا لمن يبيع لذة النظر إلى وجهه العزيز الرحيم بلذة الدنيا .. ويبدل سماع الخطاب من الرَّحْمٰن بسماع المعازف والغناء والألحان!

وذلك الغش والخداع لا يظهر إلّا يوم القيامة .. يوم الحسرة والندامة .. لكل من باع نعيم الجنان .. باع جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين .. بلذّات الدنيا!

للجنة ثمانية أبواب..

قال صلى الله عليه وسلم: " وَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَ يَوْمٌ وَإنه لكَظِيظ " [أخرجه مسلم]

ثمانية أبواب أحدها باب الريان خاص بالصائمين، وفيها باب خاص بالذين يدخلون الجنة من غير حساب من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الذين يحشرون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الباب الأيمن، وفيها باب الصلاة، وباب الصبر، وباب الجهاد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم٨٥]

وعند أبواب الجنة ملائكة لاستقبال أهل الجنة، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر٧٣]

انتهى الموت وانتهى الشقاء وانتهى البؤس وانتهى العذاب ..

سلام .. أمان بأمان .. مع خلود أبدي.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾

[الرعد٢٣-٢٤]

يقول عليه الصلاة والسلام: "يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يَبُولونَ، ولَكِنْ طَعامُهُمْ ذلكَ جُشاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والْحَمْدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ" [صحيح مسلم]

أما قصورها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الانسان٢٠].

وصَف هذه القصور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِها، و باطِنُها من ظَاهِرِها .. فقال أبو مالِكٍ الأَشْعَرِيُّ : لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال : لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، و أَطْعَمَ الطَّعَامَ، و باتَ قائِمًا و الناسُ نِيامٌ"

[الالباني]

أهل الغُرف، أهل الدرجات العُلا ..

يراهم أهل الجنة كما نرى نحن الكوكب الغابر في السماء .. لِبُعده أصبح غابراً لا يُرى !

أما درَج الجنة ..

فالمجاهد في سبيل الله يحصّل مئة درجة.

أما العامل بالقرآن، الحافظ القارئ له يحصُل على جميع الدرجات.

درجة إيمانك في الدنيا هي درجتك في الجنة.

قال صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنةِ لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها واقرأوا إن شئتُم وْظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ" [سنن الترمذي]

فيها ثمار متدلية، إذا اشتهى المؤمن شيئاً تدلى الغصن إليه .. فيأكل من أي الثمار إن شاء قائماً، وإن شاء متكئاً، وإن شاء نائماً، وإن شاء أن تجري الثمار وراءه جرَت !

إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملَك فيأخذ به من سككها فيقول له: انظر ماذا ترى.. قال: أرى أكثر قصوراً رأيتها من ذهب وفضة .. فيقول له الملَك: فإن هذه القصور جمعت لك .. فتستقبله الملائكة من كل باب ومن كل مكان .. ليس بقصر واحد بل قصور !

قالوا: السابقون في الدنيا إلى الخيرات .. هم السابقون في الأخرة إلى الجنات .. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾.

والفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنان بخمسمائة عام.

وسعها .. الجنة واسعة ممتدّة بحيث يبقى بها فضل وأماكن لم تُسكن.

وفي الحديث :"لا تزالُ جهنَّمُ يُلْقَى فيها وتقولُ: هلْ مِن مزيدٍ، حتَّى يضَعَ ربُّ العالمينَ قدَمَه، فينْزَوي بعضُها إلى بعضٍ، وتقولُ: قَدْ قَدْ، بعزَّتِك وكرَمِك، ولا يزالُ في الجنَّةِ فضلٌ حتَّى يُنْشِئَ اللهُ لها خلْقًا، فيسكِنَهم فضْلَ الجنَّةِ" [تفسير القرطبي]

هنا بداية رحلة الفردوس

وقد اتخذ الله تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه .. وضعها بالقرب من عرشه .. وغرسها بيده، فهي سيدة الجنات والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله.

فكما اختار من الملائكة جبريل عليه السلام .. ومن البشر محمد صلى الله عليه وسلم .. ومن السماوات السماء العليا .. ومن البلاد مكة .. فقد ميّز من الجنان جنة الفردوس وجنات عدن، وأفردها لعباده المقربين وأوليائه الصالحين، فهو يخلق ما يشاء ويختار.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ : خلقَ اللهُ أربعةَ أشياءٍ بيدِهِ: العَرشَ والقلَمَ وآدمَ، وجنَّةَ عَدنٍ ثم قالَ لسائرِ الخلقِ: كُن فَكانَ. **[مستدرك الحاكم]**

وفي الحديث الشريف: "سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قالَ: هو رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فيُقالُ له: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، كيفَ وقدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنازِلَهُمْ، وأَخَذُوا أخَذاتِهِمْ، فيُقالُ له: أتَرْضَى أنْ يَكونَ لكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: لكَ ذلكَ، ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقالَ في الخامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فيَقولُ: هذا لكَ وعَشَرَةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيَقولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ، فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ غَرَسْتُ كَرامَتَهُمْ بيَدِي، وخَتَمْتُ عليها، فَلَمْ تَرَ

عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ: ومِصْداقُهُ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧] [صحيح مسلم]

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة١٧]

وذلك لأنهم أخفوا أعمالهم ..أخفى الله لهم من الثواب جزاءً وفاقه .. وأعظِم بدار خلقها الرب تعالى بيده .. غرس الله غرسها بيده فقال لها تكلمي فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.. فقال: طوبى لك منزلة الملوك .

فهنيئًا لأوليائه وصفوة خلقه الذين اختارهم، وأولئك قال فيهم عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة١٠-١٤].

اللهم اهدنا السبيل إلى هذه الدار ..

إلى دار عدن ..

إلى دار الفردوس ..

إلى رفقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

إلى جوارك يا الله ..

اللهم لقِّنا نضرة وسروراً .. وأسكنّا جنة وحريراً ..

وارزقنا نعيمًا ومُلكًا كبيراً ..

ربنا اجعلنا ممن أردت فاصطفيت فهديت ..

اللهم آميين.

"والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"

"حمداً دائماً بدوامك لا يبيد ولا يزول"

****

قائمة المراجع

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ.

٢. صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقيالناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٣. الرسالة القشيرية، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري.

٤. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة ومعه تخريج الألباني للمشكاة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار ابن القيم - الدمام الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٢هـ.

٥. جامع الترمذي - التِّرْمِذِي ، أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (٢٠٩ - ٢٧٩هـ ، ٨٢٤ - ٨٩٢م)، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض - السعودية، الطبعة الاولى.

٦. سنن أبي داود (ط التأصيل) - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، دار التأصيل - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٥ م.

٧. شرح رياض الصالحين- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة ١٤٢٦ هـ.

٨. تطريز رياض الصالحين - فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الاولى.

٩. ٦٢١٦ / الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه المؤلف / المشرف: محمد بن إسماعيل البخاري المحقق / المترجم: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية - القاهرة الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٠هـ.

١٠. صحيح الترغيب والترهيب للمنذر، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢١هـ.
١١. ضعيف الترغيب والترهيب، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢١هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) – دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
١٣. ٣٠٨٨/ صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) المؤلف / المشرف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٧٤هـ.
١٤. ١٣٥٠٩ / الجامع الصحيح – سنن الترمذي ، المؤلف / المشرف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – دار الكتب العلمية – بيروت.
١٥. ٦٢٦٧ / سنن أبي داوود – المؤلف / المشرف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني المحقق / المترجم: عزت عبيد الدعاس الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٨٩هـ.
١٦. ٩٧٧/ صحيح سنن الترمذي ، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني – مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٨هـ.
١٧. ١٧٥٧٦/ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – المؤلف / المشرف: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المحقق / المترجم: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٨ هـ.

١٨. ٣٦٤١/ ضعيف سنن الترمذي ، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المحقق/ المترجم: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١١هـ.
١٩. الشكر لابن أبي الدنيا، المؤلف أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) - المكتب الإسلامي - الكويت الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
٢٠. مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) - المكتبة الشاملة الذهبية.
٢١. سلسلة الدار الآخرة - محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن حسان.
٢٢. العقيدة في ضوء الكتاب والسنة - عمر الاشقر - الطبعة الشرعية، دار النفائس للنشر والتوزيع الاردن.
٢٣. القيامة الكبرى المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٤. صفة الصفوة المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرَّحْمٰن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المحقق: أحمد بن علي الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر.
٢٥. الرحيق المختوم المؤلف: صفي الرَّحْمٰنالمباركفوري (ت ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى.
٢٦. الزهد لأحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٧. الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) ، الدار السلفية - بومباي الطبعة الأولى، ١٤١٠.

٢٨. الرسالة التبوكية – زاد المهاجر إلى ربه ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني – جدة.
٢٩. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
٣٠. الورع – ابن أبي الدنيا ، لمؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، المحقق: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود ، الناشر: الدار السلفية – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.
٣١. ٣٧٤١/ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ١٤٠٨هـ.
٣٢. روضة المحبين ونزهة المشتاقين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٣. الفوائد – المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
٣٤. ٣٦٧٠/ ضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٠٨هـ.
٣٥. إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٣٦. ٣٧٤١/ صحيح الجامع الصغير وزيادته المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ١٤٠٨هـ.

٣٧. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليالمؤلفزين الدين عبد الرَّحْمٰن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – الطبعة جـ ١، ٢/ الثانية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٣٨. فضائل الصحابة المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)المحقق: د. وصي الله محمد عباس.. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروتالطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.
٣٩. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، المؤلف أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ) – دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
٤٠. تيسير الكريم الرَّحْمٰن في تفسير كلام المنان، العلامة الشيخ عبد الرَّحْمٰن بن ناصر السعدي – مكتبة فياض – المنصورة–عزبة عقل – الطبعة الاولى ١٤٣٠ه–٢٠٠٩م.
٤١. المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، المؤلف أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، دار البشائر الإسلامية – بيروت / لبنان – الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٤٢. 9774فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف / المشرف: محمد بن علي الشوكاني المحقق / المترجم: سيد إبراهيم الناشر: دار زمزم – الرياض الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٣هـ
٤٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) – الناشر: دار المعرفة – المغرب الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٤٤. 32الحرز الثمين للحصن الحصين، المؤلف / المشرف: علي بن سلطان القاري المحقق / المترجم: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم الناشر: بدون الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٣٤هـ.
٤٥. 16226المستدرك على الصحيحين، المؤلف / المشرف: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المحقق / المترجم: بدون الناشر: مركز التأصيل- مصر الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٣٥.
٤٦. 13537ظلال الجنة في تخريج "السنة" لابن أبي عاصم المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المحقق / المترجم: بدون الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٠ه.
٤٧. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرَّحْمَٰن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، المؤلف أبو محمد، عبد الحق بن غالب ابن عطية، الأندلسي الغرناطي، مفسر قاض عارف بالأحكام والحديث، أديب، شاعر، من فقهاء المالكية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٤٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.
٥٠. ١٣٥٢٣/ نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار - المؤلف / المشرف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المحقق / المترجم: حمدي عبدالمجيد السلفي الناشر: دار ابن كثير - دمشق الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢١هـ.
٥١. احياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٥٢. مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرَّحْمٰن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ) قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٥٣. طبقات الأولياء المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ) بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٥٤. موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين) ، المؤلف: ياسر عبد الرَّحْمٰن الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٥٥. ٥٦١/ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف - الرياض الطبعة: الأولى.
٥٦. ٦٢٦٧/ السنن لابي داوود المؤلف / المشرف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني المحقق / المترجم: عزت عبيد الدعاس الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٨٩هـ.
٥٧. ١٣٥٦٠/ صحيح سنن ابن ماجه المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٧هـ.
٥٨. 6838شرح العقيدة الطحاوية المؤلف / المشرف: علي بن علي بن أبي العز الحنفي المحقق / المترجم: الألباني و جماعة من العلماء الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثامنة سنة الطبع: ١٤٠٤هـ.
٥٩. المجالسة وجواهر العلم، المؤلف أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ) - المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) تاريخ النشر ١٤١٩هـ.

٦٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف : يوسف بن عبد الرَّحْمٰن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.
٦١. ١٣٥٥٩/ صحيح سنن أبي داود المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني – الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٩هـ.
٦٢. ١٦٥٨٢/ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – المؤلف / المشرف: محمد بن حبان البستي المحقق / المترجم: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤هـ.
٦٣. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق ودراسة الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم الناشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٦٤. تفسير القرآن العظيم المؤلف / المشرف: إسماعيل بن عمر عماد الدين بن كثير المحقق/ المترجم: محمد البنا ومحمد عاشور وعبدالعزيز غنيم الناشر: دار الشعب – مصر الطبعة: الأولى.
٦٥. ١٣٥٠١/ سنن الدارقطني المؤلف / المشرف: علي بن عمر الدارقطني المحقق / المترجم: علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٢هـ.
٦٦. ١٣٥٠٧/ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور المؤلف / المشرف: عبدالرَّحْمٰن بن أبي بكر السيوطي المحقق / المترجم: يوسف علي بديوي الناشر: دار ابن كثير – دمشق الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ١٤٢٠هـ.

٦٧. الوابل الصيب من الكلم الطيب المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق: سيد إبراهيم الناشر: دار الحديث – القاهرة رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.
٦٨. هنيئا لمن عرف ربه، خالد أحمد أبو شادي صدر ٢٠١٥م عن دار طيبة للنشر والتوزيع.
٦٩. ٦٣٢٨/ الكلم الطيب المؤلف / المشرف: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية المحقق / المترجم: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٢هـ
٧٠. رحلة الخلود .. مصطفى مراد تاريخ النشر: ٠١/ ٠١/ ١٩٠٠ الناشر: دار الفجر للنشر والتوزيع.
٧١. المسند المؤلف / المشرف: أحمد بن محمد بن حنبل المحقق / المترجم: أحمد محمد شاكر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الرابعة سنة الطبع: ١٣٧٣هـ.
٧٢. ١٣٣٨٠/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف / المشرف: علي بن أبي بكر الهيثمي المحقق / المترجم: بدون الناشر: مؤسسة المعارف – بيروت الطبعة: بدون سنة الطبع: ١٤٠٦هـ.
٧٣. ٥٣١/ صحيح الترغيب والترهيب للمنذري .. المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المحقق / المترجم: بدون الناشر: مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢١هـ.
٧٤. ٧٢٩٠/ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.. المؤلف / المشرف: محمد بن إسحاق بن خزيمة المحقق / المترجم: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٨هـ.
٧٥. ١٣٥٧٠/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن.. المؤلف / المشرف: محمد بن جرير الطبري المحقق / المترجم: مكتب التحقيق الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

٧٦. ٣٦٩٦/ مختصر العلو للعلي الغفار – للذهبي .. المؤلف / المشرف: محمد ناصر الدين الألباني المحقق / المترجم: بدون الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠١هـ.
٧٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)/ المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت/ الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٧٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني [ت ١٤٢٠ هـ]، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى لمكتبة المعارف، عدد الأجزاء:٧.

الفهرس

مقدمة المؤلف ٧
شيء وقَر في قلبه ١١
انتقائُك لهذا الكتاب يُصنفك في قائمة طلبة العلم ١٣
من هم أولياء الله الصالحين ١٧
خطوات في طريق الولاية ٢٠
فلنشدّ العزم ونتّبع آثارهم .. ولنبدأ على بركة الله ٢٠
مفاتيحهم ٢٦
صـفـــــة العبودية عند أولياء الله الصالحين ٢٩
القلب السَّليـــــم ٣٣
مقام حسن الظن بالله "اليقيـــن" ٣٧
حقيقة حسن الظن بالله ٣٨
شرط حسن الظن بالله هو إحسان العمل ٣٩
حسن الظن بالله والأمل الزائف ٤١
ثمرات حسن الظن بالله ٤٣
مقامات حسن الظن بالله ٤٤
ومضة ٤٦
دعنا نتذكر الخطة قبل أن نكمل الطريق ٤٨
مقام شكر النعم ٥١
كيف أكون عبداً شكوراً ٥٤

التقاط لحظات النعيم عند سليمان عليه السلام ٥٩
مقام التـوكّـل ٦٢
مقام الـرضا ٦٧
خطوات في طريق الرضا ٧٠
ثمرات الـــرضـــا ٧٢
مقـــام التقـــوى ٧٤
برنامج العمر ٧٩
ثلاثية التقوى ٧٩
مقامُ الإحسان ٨٢
كيف أكون محسنا؟ ٨٣
طبّق الإحسان في حياتك ٨٥
الإحسان هو الزيادة ٨٩
مقام المحبة ٩٢
قانون العزلة ٩٦
ميزان المحبة ٩٧
وجب على كل قلب أن يتعلم حب الله ١٠٠
ثمرات حب الله للعبد ١٠١
اسم الله الودود ١٠٤
تذكر نعم الله ١٠٦
وُد الله للتائبين ١٠٨
كيف تبدأ عهداً جديداً مع الله ١١٢
أفضل العباد عند الله أكثرهم استغفاراً وأقلهم ذنوبا.. ..... ١١٦

عبوديات الجوارح عند أولياء الله ١١٩
غض البصر ١٢٠
حقيقة غض البصر ١٢٢
عناية السلف بغض البصر ١٢٣
ثمرات غض البصر..... ١٢٤
الدعـــاء ١٢٨
اسم الله الأعظم ١٣١
الدعاء يغير الأقدار ويمنع البلاء.. ..... ١٣٢
قيـــام الليـــل ١٣٧
أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل..... ١٣٩
البُكـــاء من خشيـــة الله ١٤٦
خشية في خلوة..... ١٤٨
الخوف من عدم قبول العمل ١٤٩
قسوة القلب..... ١٥٠
النوايـــا والسرائـــر ١٥٢
حدد دستورك.. ابدأ مشروعك ١٥٦
رحلة أولياء الله الصالحين..... ١٦٦
رحلة السعادة ١٦٦
ساعة خروج روح عبده الصالح ١٦٨
علامات حسن الخاتمة..... ١٧١
نماذج حسن الخاتمة..... ١٧٣
نعيـــم القبـــر ١٧٨

فصل فيما ينجي المؤمن من أهوال القبر ١٧٩
أسباب عذاب القبر ١٨١
أين تكون الأرواح في البرزخ ١٨٤
يوم البعث ١٨٧
خروج الأتقياء من القبور ١٩٠
أهل الطاعة ١٩١
من هم الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ١٩٤
في أرض المحشر يوم القيامة ١٩٤
أرض المحشر وصفتها ١٩٦
أبعـــد هـــذا !!؟ ٢٠٦
هول يوم القيامة على الناس ٢٠٨
شربة من حوض الرسول عليه السلام ٢٠٩
الشفاعة العظمى ٢١١
طرق تؤدي إلى رفقة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى ٢١٤
من أسعد الناس بشفاعة المصطفى؟ ٢١٨
وجاء الرب لفصل الخطاب ٢١٩
ساعة العرض على الله ٢٢١
أنواع الحساب ٢٢٣
عرض العبد على الله ٢٢٤
مضاعفة الأعمال ٢٢٧
تبديل السيئات حسنات للمؤمنين ٢٢٩
أول من يحاسب من الناس من أمة المصطفى عليه السلام ٢٣٠

أول ما يُحاسب العبد عليه ٢٣١
قيمة العمر.. مشروع العمر ٢٣٣
من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ٢٣٨
الميـــــزان ٢٤٢
كلمة .. حسنة .. معروف ٢٤٥
أثقل الأعمال في الميزان ٢٤٦
الصِّـــراط ٢٤٩
لمن يُنصب الصراط؟ ٢٥٦
القنطـــرة ٢٥٧
ثُمّ الجنة ٢٥٨
شفاعة أرحم الراحمين ٢٦٠
وصف الجنـــة ٢٦١
قائمة المراجع ٢٧١

****

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صلاة دائمة إلى يوم الدين

عدد ما ذكره الذاكرون

وغفل عن ذكره الغافلون

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين